تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الحادية عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد؛ يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الحادية عشرة ضمن مقرر تاريخ التفسير، الذي يقدَم ضمن برنامج السعدي، المستوى الأول.

✓ الإسرائيليات في التفسير

في المحاضرة الماضية تكلمنا عن مسألة ضوابط منهجية في التعامل مع مرويات السلف في التفسير، واليوم بإذن الله عز وجل سنتكلم أيضًا عن قضية أخرى مهمة، أخذت بعدًا كبيرًا في عصرنا الحاضر، وهي مسألة **الإسرائيليات في التفسير**، والحامل لنا للحديث عنها؛ أولًا: أنها تتعلق بتاريخ علم التفسير، فنحن نريد أن نعرف متى ظهرت هذه الإسرائيليات في علم التفسير؟ كيف تعامل المفسرون معها من السلف، ومن جاء بعدهم؟ وما الموقف منها؟ وبَحْثُنا لها، مع أنه بحث لجانب تاريخي يتعلق بذات المقرر، إلا أنه أيضًا يلقي إضاءةً على مسألةٍ يكثر الحديث عنها في عصرنا الحاضر، وأخذت زخمًا كبيرًا. لا أريد التوسع الحقيقة كثيرًا في الكلام عن هذه المسألة، وإنما سأحاول جهدي اختصار الكلام عن هذه المسألة في عدد من النقاط والفقرات.

المقصود بالإسرائيليات

حينما نقول الإسرائيليات، ماذا نقصد بكلمة الإسرائيليات؟ المقصود بهذه الكلمة: هو كل ما رواه بنو إسرائيل، أو كل ما رُوي عن بني إسرائيل، أو كل ما أُخذ عن بني إسرائيل من كتبهم أو من علمائهم. وحينما نقول بني إسرائيل المقصود: بنو يعقوب عليه السلام ، وكلمة إسرائيل تعني في اللغة العبرية: عبدالله، أو صفوة الله، والمقصود به هو نبي الله يعقوب عليه السلام، يقول عز وجل: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [آل عمران: 93] يعني يعقوب عليه السلام، فكل ما كان عن بني إسرائيل سواءً من كتبهم، أو من علمائهم، داخلٌ في مسمى الإسرائيليات، وسواءً هم الذين نقلوه لنا، أو أن أحدًا من العلماء رجع إلى كتبهم، أو سألهم، وهذا كله داخلٌ في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

لكن هناك توسعٌ في هذا الإطلاق، فدخل في معنى الإسرائيليات كل ما كان من غرائب التفسير، وعجائب الأخبار، مما لم يثبت نسبته إلى بني إسرائيل، وإنما هي غرائب الروايات وعجائب الأقاويل، وبدع القصص والأخبار، فأدخلها بعض الباحثين ضمن الإسرائيليات، وأطلق عليها هذا الاسم من باب التغليب، لأن غالب أخبار بني إسرائيل فيها غرائب، ولا تخلو من غرائب وعجائب، فأُلحق بها كل ما كان فيه معنى الغرائب والعجائب، وإن لم يثبت أنه عن

بني إسرائيل، نعم الحقيقة هذا التوسع في الإدخال يحتاج إلى تأمل، لأننا نعلم أن الأصل في أخبار بني إسرائيل أن لها حكم خاص سيأتي، والأصل فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، أما الدخيل في علم التفسير فلا يأخذ هذا الحكم، يعني الدخيل في الروايات عمومًا، والأخبار عمومًا، لا تدخل ضمن هذا المعنى، ولا تُلحق به، ولا تجري عليه أحكام أخبار بني إسرائيل، تلك أخبارٌ أخرى، تطبق عليها قواعدٌ أخرى، لكن بني إسرائيل لها ميزةٌ خاصة، وردت فيها أحاديثٌ خاصة، فكان التفريق بين ما هو من أخبار بني إسرائيل، وما ينسب إليهم، وإن لم يقولوه، أو يؤخذ عنهم، هذا كان من الأفضل. على كل حال، هذا مفترضٌ أن يؤخذ - إن شاء الله تفصيلًا - في مادة أصول التفسير.

لماذا ظهرت الإسرائيليات في كتب التفسير

هذه الأخبار عن بني إسرائيل لماذا ظهرت عند المسلمين؟ لماذا ظهرت في كتب التفسير؟ حتى نجيب عن هذا السؤال؛ يجب أن نفهم منهج القرآن الكريم في عرض الحوادث والوقائع. يقوم منهج القرآن الكريم في عرض الحوادث، والوقائع، والأخبار، والقصص، على الاقتصار على موطن العبرة، أو ما يساعد على معرفة موطن العبرة، أما ما ليس له أثر في موطن العبرة، ولا يساعد على الوقوف على موطن العبرة، فالقرآن لا يعرض له؛ لأن القرآن ليس كتاب تاريخ، ولا كتاب قصص، حتى يذكر تفاصيل كل الحوادث، ولهذا نجد كثيرا في القرآن عدم تسمية الأماكن، ولا تحديد التواريخ، ولا تسمية الأشخاص والأعيان، يقول الله عز وجل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13]، أين مكان هذه القرية؟ أي زمان؟ ما اسمها؟ ما اسم المرسلين؟ ما اسم الرجل الذي نصح قومه؟ ما يُذكر؛ لأن هذه التفصيلات لا أثر لها في حصول العبرة والمعنى المقصود من القصة، ولذلك لا يذكرها ويتركها القرآن الكريم.

فاقتصار القرآن الكريم على مواطن العبرة وعدم الدخول في التفصيلات، يقابله أن النفس البشرية بطبعها تتشوق لتفاصيل الحوادث، والوقائع، وتتشوف للأخبار، وتحب أن تعرف المزيد عنها، وقد سمعوا في كلام الله عز وجل الحديث عن الأمم السابقة، قوم نوح، عاد، وهود، ولوط، وشعيب، وفرعون، وأصحاب الفيل، وغيرها من القصص السابقة، والأمم الماضية، فأرادوا أن يعرفوا مزيدًا عن هذه القصص والوقائع، فطبيعة النفس تتشوف لذلك، واليهود كانوا بين المسلمين ويعيشون مع الصحابة في المدينة ومع المسلمين عمومًا، حيث كانوا أهل الذمة، وبينهم وبين المسلمين عقد ذمة، وهم أهل الكتاب قبلنا، أسفارهم وكتبهم كانت مليئةً جدًا بالحوادث والوقائع التي ذكر الله عز وجل طرفا منها، أضف إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن لنا في التحديث والرواية عن بني إسرائيل فقال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، كما أخرجه البخاري وغيره، وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم". فإذًا ما في القرآن من إجمالٍ، مع تشوف النفس لتفاصيل

الأخبار، ووجود اليهود، وهم الأمة السابقة لنا التي عندها الكتاب، مع إذن النبي صلى الله عليه وسلم بالتحديث عنهم، وسماع أخبارهم، هذه العوامل كلها كانت سببًا لظهور أخبار بني إسرائيل في التفسير، وفي تاريخ العلوم الإسلامية.

إلى هذا المعنى يشير **ابن خلدون** في مقدمته، في كلام طويل سأنقله بتمامه لأهميته، يقول عن سبب وجود هذه الإسرائيليات: "والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية. فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهودية. فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم. فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم، في أمثال هذه الأغراض، أخباراً موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات. وأصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُد صيتهم وعَظُمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ."

يقول إن هؤلاء كانوا - صحيح - من أهل الكتاب، لكنهم من العرب، والعرب بادية ليسوا أهل كتاب ولا علم، فما يعرفه أهل الكتاب من العرب، الذين كانوا عربًا، مثل ما يعرفه عامة أهل الكتاب، يعني ليس لهم تعمق في العلم بحيث يميزون تلك الروايات الموجودة في كتب أهل الكتاب، ويعرفون الصحيح منها من غيره، مع ما لهم من أقدارٍ عند أهل الإسلام، ومكانةٍ في الدين، فتلقّى الناس أخبارهم و أقاويلهم بالقبول.

لعل أيضًا من الحكمة في الإذن بالتحديث عن بني إسرائيل الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم معنى تأليف قلوبهم على الإسلام، لأن يدل على ما في الإسلام من عدل ونصفة، الرسول صلى الله عليه وسلم ما حارب أهل الكتاب ولا قطع العلاقة بهم، بل حتى أذن بالتحديث عنهم، فهو يشعر أن هذا الدين دين فيه إنصاف.

كذلك من فوائد التواصل مع أهل الكتاب، وسماع أخبارهم، والتعرف على كتبهم: أن نقف على ما فيها من ضلال، وما فيها من انحراف وتبديل، فنُصوّب ذلك، ونُبين لأهل تلك الكتب خطأهم وضلالهم.

موضوع الأخبار الإسرائيلية في كتب التفسير

إذا كانت هذه الإسرائيليات قد ظهرت في كتب التفسير، وتناقل أهل العلم أخبار بني إسرائيل، ففي أي شيء كانت تلك الأخبار والروايات التي تنقل عن بني إسرائيل؟ لا شك أن ما ذكرناه قبل قليلٍ من العوامل التي أدت إلى ظهور أخبار بني إسرائيل، يجيب عن هذا السؤال؛ وهو ما موضوع هذه الأخبار الإسرائيلية؟ ما ذكرناه من عوامل ظهور هذه الأخبار يجيب عن هذا السؤال.

قلنا إن القرآن قد أجمل في قصصه وأخباره، وعند بني إسرائيل تفصيل عنها، إذن غالب الأخبار، **غالب موضوعات بني إسرائيل التي أخذت عنهم تتعلق في غالبها - إن لم يكن جميعها - في مسألة القصص والحوادث**، سواءً الغابرة الماضية، ومايتعلق ببدء الخليقة والأمم السابقة لنا، أو المستقبلة التي ستقع في آخر الزمان، فهي في القصص والأخبار والملاحم وأحاديث آخر الزمان، دون مسائل الأحكام والعقائد، فهي في حقيقتها تفصيل لتلك القصص التي وردت مجملة في القرآن الكريم، دون دخول في العقائد والأحكام. ربما يرد في مضمون القصة شيءٌ له صلةٌ بالعقائد أو شيءٌ له صلةٌ بالأحكام، لكنه لم يكن مقصودًا ابتداءً، وهذا ترى معنى غاية في الأهمية، أحد العلماء من السلف من الصحابة أو التابعين يروي القصة عن بني إسرائيل، يريد معنى القصة الذي يطابق ما جاء في القرآن، دون أن يريد بعض الإشارات العقدية، أو بعض الإشارات التي تترتب عليها الأحكام، وهذا قد نلقي عليه المزيد من الضوء إن شاء الله مستقبلًا.

أيضًا **تَرِد الروايات الإسرائيليات لتتعلق بتعيين المبهمات**، كالإبهام في الزمان، أو الإبهام في المكان، أو الإبهام في الأعيان، أو حتى الإبهام في الألوان، مثل تعيين اسم صاحب القرية الذي أماته الله، مثل تعيين الجزء الذي ضرب به الميت من البقرة، مثل تعيين نوع الشجرة التي أكل منها آدم وزوجه، فأيضًا أخبار بني إسرائيل تتعلق بتعيين المبهمات.

نعم، أقول هذه هي موضوع أخبار بني إسرائيل، ولكن كما ذكرت لكم أنه قد يرد في هذه القصة تعيين لهذا المبهم، أو تفصيل ذلك الخبر، وقد يرد في سياقاتها نكارات وغرائب تخالف العقل أو تخالف الشرع، هي لم تكن مقصودة في ذاتها، لم يكن الراوي لها من السلف قد أراد تلك التفاصيل التي تناقض عقائدنا أو تناقض أحكامنا، إنما أراد السياق العام لها، سياق القصة، على سبيل الاستئناس بها، لا البناء عليها، ولا أخذ التشريع منها، ولكنه لأجل ذلك يتسامح فيها، لأن المقصود بها الاستئناس بذلك الخبر، والتحديث له دون ما قد يقع في القصة من نكارة، أو مخالفةٍ لعقائدنا أو أحكامنا.

هل روى الصحابة عن بني إسرائيل؟

هل الصحابة رضي الله عنهم لهم رواية عن بني إسرائيل؟ الحقيقة، إن ما يتعلق برواية الصحابة عن بني إسرائيل تحتاج إلى دراسة متأنية، نتعرف من خلالها على منهجهم فيها ونجيب من خلالها على عدد من الأسئلة من حيث: ما حجم تحديث الصحابة عن بني إسرائيل؟ ما مقدار ما ثبت منه؟ وفي أي شيء كان هو؟ أهو في الأخبار أم في الأحكام؟ وهل كان فعلًا أخبار بني إسرائيل من مصادرهم في التفسير؟ وهل هو فعلا يعتبر مصدرًا في التفسير؛ بمعنى أنه هل يوجد آيةٌ في القرآن الكريم لا يمكن لنا أن نفهمها إلا بالرواية الإسرائيلية؟ هل الأخبار التي ذكرها الصحابة عن بني إسرائيل أرادوا بها تفسير الآية، أم أنهم ذكروها هكذا على سبيل القصة والرواية دون أن يربطوها بالآية، وإنما جاء الربط بعدهم ممن أخذ عنهم، أو من المفسرين؟ بمعنى هل الصحابي حينما تكلم وذكر ذلك الخبر الإسرائيلي، هل هو ذكره وهو يفسر الآية؟ وربط به الآية؟ أم أن الربط جاء ممن بعدهم من التابعين، أو من غيرهم من المفسرين؟ ثم هل في ما حدَّثوا به عن بني إسرائيل ما يخالف الشرع؟ ما يخالف الكتاب والسنة، وظاهرها، أو يناقض العقل؟ ثم هل حدثوا بها عن بني إسرائيل، تلك الروايات، وهم يعتقدونها على سبيل الاعتقاد، أم على سبيل الاستئناس والاستشهاد بها؟ ثم أخيرا، هل وهم يحدثون عن بني إسرائيل هل هم يقبلون كل ما في تلك الأخبار التي رووها من تفصيل؟ أم أرادوا السياق العام دون تفاصيل تلك الأخبار؟

ونحن نريد أن نجيب عن الأسئلة، أو من يريد الإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن يكون المنهج العلمي هو الحاكم لنا، لا مجرد العواطف، فيجب أن يكون المنهج العلمي هو نصب أعيننا ولا تجرنا العاطفة، وموقف العداء مع اليهود، عليهم غضب الله ولعنته، لا يحملنا الموقف العدائي معهم إلى الشطط في موقفنا من أخبار بني إسرائيل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله عليه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: 78]، وقاتلهم وقتلهم، وأجلاهم هو وصحابته، ومع ذلك هو الذي هو الذي يقول: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، فيجب ألا تأخذنا العواطف ونحن نتكلم في المنهج العلمي.

في المحاضرة القادمة، إن شاء الله، سنضع بعضًا من الضوابط المنهجية، بعضًا من الإضاءات المتعلقة بطريقة الصحابة - رضي الله عنهم - في رواية الأخبار عن بني إسرائيل. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله، ومنيرة فهد**

قام بالمراجعة الأولى: **أخت في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثانية عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد، يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الثانية عشرة من محاضرات تاريخ التفسير ضمن برنامج السعدي، المستوى الأول بأكاديمية تفسير.

كنا في المحاضرة الماضية تكلمنا عن موضوع من الموضوعات التي يكثر الحديث عنها في عصرنا الحاضر عند الباحثين والمختصين في الدراسات القرآنية، وهو: **الإسرائيليات في التفسير**، والموقف منها، والعمل بها. وقد أشرنا في المحاضرة الماضية إلى رواية الصحابة لأخبار بني إسرائيل، وطرحنا عددًا من الأسئلة من ضمنها: هل الصحابة أخذوا عن بني إسرائيل؟ وهل ما أخذوا يتعلق بالأحكام والعقائد، أم بغيره؟ وهل هم أرادوا بها الاستشهاد أم الاعتقاد؟ وهل هم ذكروها ابتداءً وهم يريدون تفسير كلام الله، أم لا؟ ثم، هل نستطيع أن نفهم كلام الله دون هذه الإسرائيليات؟ أو هل يوجد في كلام الله ما لا يفهم إلا بهذه الرواية الإسرائيلية؟

سنحاول في هذه المحاضرة والمحاضرة التي تليها الإجابة عن بعض هذه التساؤلات، وإلقاء الضوء عليها.

✓ موقف الصحابة من الإسرائيليات

أولاً: أول ما يظهر لنا أن **الصحابة -رضى الله عنهم- تعاملوا مع الروايات الإسرائيلية في حدود الإذن الشرعي من النبي عليه الصلاة والسلام؛ استشهادًا لا اعتقادًا**، فقط من باب الاستشهاد بها والاستئناس بها دون أن يكون ذلك على سبيل الاعتقاد بها، ومما يدل على ذلك ما نجده عند الصحابة من بعض الروايات التي تشدد في الرواية عن بني إسرائيل وتنهى عن ذلك مثل:

- يقول ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه-: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية (أي بقية تتعلق بالنفس من تاريخها الماضي)، تدعوه إلى دينه كتالية المال."
- ومثل ذلك مروي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، وابن عباس مشهور عنه أنه أخذ عن بني إسرائيل والرواية عنهم، فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كيف تسألون أهلَ الكتابِ عن شيءٍ، وكتابُكم الذي أُنزِلَ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أحدثُ، تقرؤونه محضا (يعني صافيًا) لم يُشَبْ (يعني لم يختلط بشيء)، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله وغيروه،

وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلمِ عن مسألتهم؟ لا والله، ما رأينا منهم رجلاً يسألُكم عن الذي أُنزِل عليكم."

فهذه الروايات التي جاءت عن الصحابة في التشديد في الأخذ عن بني إسرائيل والرواية عنهم، مع ما نراه منهم من الأخذ عن بني إسرائيل، نفهم منه أنهم كانوا يأخذون منهم على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الاعتقاد، أو أن ذلك محمول على النهي عن التوسع في الرواية عنهم، أو فيما يتعلق بما يترتب عليه الأحكام، هذه نقطة.

ثانياً: من أشهر مَن أُخذ عنهم الرواية عن بني إسرائيل من الصحابة: عبد الله بن عباس، وعمرو بن العاص، وعائشة، وكذلك أبو هريرة -رضى الله عنهم أجمعين-. هؤلاء من أشهر من أخذ عن بني إسرائيل على تفاوتٍ بينهم، ورواياتهم عن بني إسرائيل مبثوثة في كتب التفسير، لا سيما التي تعتني بالمروي عن السلف في التفسير.

ثالثاً: الصحابة -رضى الله عنهم- وهم يأخذون عن بني إسرائيل، ثبت عنهم التحري والدقة فيما يروونه عن بني إسرائيل، إذ لم يكونوا يكتفون بمجرد الرواية عنهم، بل كانوا يدققون فيما يروونه ويتثبَّتون إن كانت تلك الرواية التي أخذوها عن بني إسرائيل موجودة في كتبهم، أم مجرد رأي لذلك الذي أخذوا عنه. فمثلاً، عن سؤالهم لكعب الأحبار، وهو من أشهر من كان يُؤخذ عنه، يقولون له: "هل تجد في التوراة هذا الشيء؟ هل وجدته في التوراة؟ هل قرأته في التوراة؟"

ومما يدل على وعيهم بما ينقلون عن بني إسرائيل - يعني أنهم لم يكونوا فقط يأخذون عن بني إسرائيل دون وعي ونظر في تلك المرويات - وقد روى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: "إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب"، وليس المراد بالكذب ههنا الافتراء وإنما المراد به الخطأ في النقل عن أهل الكتاب. انظروا كلام معاوية في تقييمه لكعب الأحبار، وهو من أشهر من كان يؤخذ عنه ومن أصدق من كان يُروى عنه من أخبار بني إسرائيل! وهذا معناه أنهم كانوا يختبرون، ويتأكدون، ويتثبَّتون مما يرونه.

يقول ابن سعد في طبقاته: "قال أبو بكر بن عياش: قلت للأعمش: ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟ قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب"، (ما لهم يتقون تفسير مجاهد) يعني: يتحاشونه. وفي رواية أخرى "أنهم كانوا يرون أن مجاهدًا كان يحدِّث عن صحيفة جابر". فهذا مجاهد -وهو أكثر السلف روايةً في التفسير له ستة آلاف رواية في التفسير -كما مرَّ معنا- وهذا مقامه ومنزلته فهو تلميذ ابن عباس الأول، ومع هذه المقامة والمنزلة كان هناك نوع من التحاشي في الرواية عنه.، لماذا؟ لأنه كان يسأل أهل الكتاب.

رابعاً: حقيقةً، ظهر لي أن غالب الروايات المروية عن بني إسرائيل، مأخوذة عن مُسْلِمَةِ أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، دون من بقي على ملته، يعني أن الصحابة كانوا في غالب ما يأخذون، يأخذون عن من أسلم من أهل الكتاب، وليس مِن مَن بقي على دينه في الغالب. نعم، قد يتلقونها عن غير المسلمين منهم، مثل: عبد الله بن عمرو بن العاص، والذي نُسب إليه أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب اليهود فكان يُحَدِّث منهما، فهذا ليس على إطلاقه، وإنما كان يُحَدّث منهما في حدود ما فهمه من الإذن في قوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، ولكن الغالب أنهم كانوا يأخذون عن مسلمة أهل الكتاب.

وما الفائدة إذا كانوا يأخذونها عن مسلمة أهل الكتاب، أو غيرهم؟ لا شك أن المسلم منهم له مزية ومكانة ليست لمن بقى على دينه، بل بعضهم قد يكون من الصحابة كعبد الله بن سلام، ويثبت له من العدالة، والمنزلة، والمكانة ما ثبت لسائر الصحابة.

خامساً: الذي يظهر أيضاً أن ما يذكره الصحابة من أخبار بني إسرائيل، يذكرونه على سبيل ذكر تفاصيل الأخبار الواردة بشكلٍ عام، ولا يلزم من ذكرهم لتلك الأخبار قبولهم لما ورد فيها، فقد يذكر القصة بعمومها وهو يريد المعنى العام لها، دون ما فيها من بعض التفاصيل التي قد تكون محل اعتراض، فهو إنما أراد بيان مجمل القصة التي وردت في القرآن، دون بعض التفاصيل الواردة في خبر بني إسرائيل، فلا يلزم من ذكرهم للقصة أو الخبر عن بني إسرائيل الذي يوضح المجمل في القرآن، لا يلزم منه قبولهم، وتصديقهم بكل تفاصيل تلك القصة، وإنما هذه قصة عامة مأخوذة عن بني إسرائيل، توضح هذا الإجمال العام الذي ورد في القرآن الكريم. هذه بعض المعالم المتعلقة بموقف الصحابة –رضى الله عنهم– من أخبار بني إسرائيل.

✓ موقف المفسرين من الإسرائيليات

إذا كان ما سبق هو موقف الصحابة من الاسرائيليات في الرواية، فما هو موقف المفسرين الذين جاءوا بعدهم من الروايات الإسرائيلية؟ المفسرون من الصحابة، والتابعين، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا، أخذوا عن بني إسرائيل، ورووا عنهم روايات إسرائيلية في تفسير كلام الله. ومن خلال رصد تلك المرويات نجد أنها قليلة؛ بل نستطيع أن نقول أنها كانت نادرة في عصر الصحابة -رضى الله عنهم-، ثم حصل نوع من التوسع في عصر التابعين،ثم الذين توسعوا في ذلك توسعا كبيرا كانوا أتباع التابعين ومن جاء بعدهم من المفسرين.

إذًا، في عصر الصحابة، كانت الرواية عن بني إسرائيل قليلة أو نادرة. وفي عصر التابعين، توسعوا نوعًا ما، ولكن لم يكن توسعًا كبيرًا -أقصد به التابعين- الذين أخذوا عن الصحابة، ثم حصل توسع كبير في أتباع التابعين، ومن جاء بعدهم من المفسرين، يعني في -القرن الرابع الهجري وما بعده-، حصل نوع توسع كبير في الأخذ عن بني إسرائيل.

حينما نقول إن الأخذ عن بني إسرائيل قليل أو نادر، هذا بمقياس ما يُروَى عن المفسر، فإذا جئنا على صحابي مثل ابن عباس -رضي الله عنهما-، كم رُوي عنه في التفسير؟ روي عنه مثلاً ألف رواية في التفسير، أو ألف وخمسمائة مثلاً، كم تشكل هذه الروايات الإسرائيلية منهم؟ إذا كان له ألف رواية مثلاً في التفسير، ولم نجد له إلا عشر روايات إسرائيلية، أو عشرين، أو حتى ثلاثين رواية، أو خمسين رواية، فإن هذه قليلة ونادرة، لأنها لا تشكل إلا خمسة بالمائة مما روي عنه عن بني إسرائيل، فهي تعتبر قليلة ونادرة. كذلك لو أردنا أن نطبق هذا المعيار عند من جاء بعده من التابعين، وأتباع التابعين، كم مقدار ما روي عنه عمومًا في التفسير؟ وكم يشكل ما أخذ عن بني إسرائيل منها؟ وعندئذٍ نستطيع أن نخرج النسبة.

ظهر التوسع عند المفسرين – كما ذكرت لكم – **في القرن الرابع الهجري وما جاء بعده**. فيحيى بن سلَّام، وابن أبي حاتم، والطبري، توسعوا في الرواية عن بني إسرائيل، ومن أكثر من توسع في أخبار بني إسرائيل، **الثعلبي** -المتوفى سنة 427 للهجرة-، في أوائل القرن الخامس الهجري في تفسيره ***الكشف والبيان***، الحقيقة توسع بشكل كبير في مسألة الرواية عن بني إسرائيل.

هذا فيما يتعلق بالمفسرين والأخذ عن بني إسرائيل في عصر الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ومن جاء بعدهم من المفسرين؛ فهم بين مقلٍّ ومستكثر إلى يومنا هذا.

✓ التصنيف العام للمفسرين من حيث موقفهم من الرواية عن بني إسرائيل

إذا أردنا أن نصنف تصنيفًا عامًا للمفسرين، من حيث موقفهم من الرواية عن بني إسرائيل، نذكر تصنيفًا عامًا، فيمكن أن نقول إنهم على أربعة أصناف من المفسرين عمومًا:

1. مَنْ لا يذكر الأخبار عن بني إسرائيل مطلقًا، وهذا يكثر عند المفسرين المعاصرين، ومثله في الكتب المختصرة في التفسير، لا تذكر الأخبار عن بني إسرائيل، وكثير من المفسرين العاصرين، لا يذكرون أقوال بني إسرائيل، هذا قسم.
2. من يكثر من ذكرها، وهم على النقيض تمامًا من القسم الأول الذي لا يذكرها أبدًا؛ من يكثر من ذكرها مثل: الطبري، والثعلبي، والسيوطي في "الدر المنثور".
3. من يذكرها على نحو قليل جدًا، كابن عطية.
4. والقسم الرابع: من يذكرها، ومع ذكره لها ينتقدها، ويبين ما فيها من ضعف، إما من جهة المنقول، أو من جهة المعقول. وأشهر من اعتني بنقد الروايات الإسرائيلية: ابن كثير، والرازي، وإن كان ابن كثير يتميز عن الرازي؛ بأنه محدِّث له عناية بأصول المحدثين في نقد الروايات.

هذا بإجمال موقف المفسرين من الروايات الإسرائيلية، إما أنهم لا يذكرونها أبدًا، أو يكثرون من ذكرها، أو من يذكرها على نحو قليل، أو يكون ذاكرًا لها مع الانتقاد لها، وبيان ما فيها من ضعف، وخلط، وتزييف.

✓ حكم الرواية عن بني إسرائيل

إذا كان هذا موقف المفسرين من الروايات الإسرائيلية، بين من يذكرها، ومن لا يذكرها، بين من ينتقدها، ومن لا ينتقدها، فما **حكم أصلاً الرواية عن بني إسرائيل؟** أقول:

إن التحديث عن بني إسرائيل مطلقًا، مجرد التحديث عنهم، هذا أمر ورد به نص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- صريح حيث قال صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج". فمجرد الرواية عن بني إسرائيل، والتحديث عنهم بإطلاق دون ربطه بالتفسير، أو بالحديث، أو من غيره من هذه الأمور، وإنما الإنسان يحدث بخبره عن بني إسرائيل، هذا أمر ورد الإذن فيه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مطلقًا فقال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج". وفي حديث آخر، قال: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار". فلا إشكال في مطلق الرواية عن بني إسرائيل وفق ما نصت عليه الأحاديث الصريحة، غير أنه **لا يُفهم من جواز التحديث عن بني إسرائيل أن نحدِّث عنهم ما نعلم يقينًا كذبهم فيه**؛ نعم، يجوز لي أن أحدث عنهم، لكن إذا علمت يقينا أن هذه الرواية مكذوبة، فلا يجوز التحديث عنهم.

ولهذا، قال ابن حجر في فتح الباري، وهو يعلق على حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: وقال الشافعي: "من المعلوم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يُجيز التحديث بالكذب". فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل فيما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجيزونه، فلا حرج عليكم في التحديث به عنهم، وهو نظير قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم". ولم يَرِدِ الأذن، ولا المنع من التحديث بما يُقطع بصدقه.

إذًا نُحدِث عن بني إسرائيل إلا ما نعلم يقينًا كذبهم فيه؛ فإن الكذب لا يجوز، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يمكن أن يجيز لنا أن نحدِّث عن شيء نعلم كذبه.

إذًا، مجرد التحديث عن بني إسرائيل عمومًا، دون أن يكون مربوطًا بالكتاب والسنة، دون أن يكون مربوطًا بتفسير القرآن، أو شرح السنة، هذا لا حرج فيه، كما ورد به الإذن؛ إلا إذا علمنا أنه كذب، لكن محل نظرنا، ومحل الاختلاف الذي وقع بين الناس هو: هل يجوز لنا أن نحدث عن بني إسرائيل في مقام تفسير كلام الله -عز وجل- وبيانه؟ هل يجوز لنا أن نحدث عن بني إسرائيل، في مقام شرح سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أو توضيحها، أم لا؟ هذا هو الذي وقع الإشكال فيه عند بعض أهل العلم.

ونُرجِئ الكلام عنه بإذن الله تعالى ومشيئته إلى المحاضرة القادمة، حيث سنتكلم عن حكم الرواية عن بني إسرائيل، والتحديث عنهم في مجال تفسير كلام الله -عز وجل-، ومثله كذلك في شرح سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

إلى ذلك اللقاء، أستودكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **مروة الماحي**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثالثة عشرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد فيطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الثالثة عشرة من محاضرات تاريخ التفسير والتي تلقى ضمن برنامج السعدي المستوى الأول. أيها الإخوة الكرام، تكلمنا في المحاضرة الماضية عن مسألة مهمة يكثر الحديث عنها في واقعنا الآن وفي الدراسات المعاصرة، وعند المهتمين بالتفسير والعلوم المرتبطة به، وهي مسألة **الإسرائيليات في التفسير**، وأشرنا إلى تعريفها وبعض المسائل المتعلقة بها، وموقف المفسِّرين منها.

✓ حكم الرواية عن بني إسرائيل

أشرنا إلى أن مطلق الرواية عن بني إسرائيل في أصلها جائز، وقد ورد به الإذن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، هذا الحديث دال على أنه يجوز التحديث عن بني إسرائيل. إذاً، فلا حرج أن نخبر - نحن أو أحد من أهل العلم - خبراً أو نروي روايةً عن بني إسرائيل، لا حرج في هذا لنص حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي الحديث الآخر "بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النار"، فلا إشكال إذاً في مجرد أن يروي أهل العلم عن بني إسرائيل وأن يحدِّثوا عن أخبارهم فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أجاز ذلك لنا، بل إنَّه -عليه الصلاة والسلام- قال لنا: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم"، فقد أذن لنا أن نُحدِّث عنهم، ولم يُلزمنا بتصديق أقوالهم ولا بتكذيبها من حيث الأصل، إذاً فإن مطلق التحديث عنهم لا حرج فيه، إنما الذي دار فيه البحث والكلام بين أهل العلم هو أن يُفسَّرَ كلام الله -عز وجل- بتلك الروايات عن بني إسرائيل - يعني أن يُحدَّثَ عنهم في باب تفسير كلام الله -عز وجل- وبيان مراده سبحانه وبحمده، ومراد نبيه -صلى الله عليه وسلم-، هذا الذي وقع فيه الخلاف بين أهل العلم، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن إباحة الرواية عن بني إسرائيل لا تعني أن يفُسّر كلام الله عز وجل بتلك الروايات المنقولة عنهم، أو أن تُحمل معاني القرآن الكريم أو معاني السنة النبوية على ما تدل عليه تلك الروايات الإسرائيلية.

يقول الشيخ **أحمد شاكر**-رحمه الله- في كتابه ***عمدة التفسير***: "إنّ إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيءٌ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً وروايةً في معنى الآيات أو في تعيين مالم يُعيَّن فيها أو في تفصيل ما أُجمل فيها شيءٌ آخر، -قال-: لأنّ في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يُوهِمُ أنّ هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيِّنٌ لمعنى قول الله سبحانه، ومُفصّلٌ لما أُجمل فيه، -قال-: وحاشا لله ولكتابه من ذلك،

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أذن بالتحدث عنهم، أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، -ثم قال-: فأيُّ تصديقٍ لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير والبيان." انتهى كلامه -رحمه الله. وهذا الكلام فيه أنه يُفرِّق بين أنه يجوز أن نحدِّثَ مطلقاً عن بني إسرائيل وبين أن نحمل معاني كلام الله تعالى على تلك الروايات ونقرن تلك الروايات بتفسير كلام الله عز وجل.

والحقيقة هذا الكلام وإن كان فيه وجاهة، فإن ظاهر نصوص الكتاب والسنة تدل على جواز التحديث عنهم مطلقاً دون تفريق بين أن يكون هذا مرتبطاً بمعنى كلام الله أو غير مرتبط به، يقول الله عز وجل لنبيه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:94]، ويقول عز وجل: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:211]، ويقول عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:101]، هذه النصوص من القرآن الكريم فيها توجيه النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال أهل الكتاب سؤالاً مطلقاً، لم يُقيَّد بحالٍ دون حال، لم يقل له يجوز لك سؤالهم فيما لا يتعلق بمعنى القرآن الكريم. وأما السنة فقد أشرت قبل قليل إلى عدد من الأحاديث الدالة على جواز التحديث عن بني إسرائيل، "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" ويقول -عليه الصلاة والسلام-: "إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، فظاهر النصوص دال على جواز التحديث عنهم بلا تفريق.

✓ حقيقة أخذ الصحابة والتابعين عن بني اسرائيل

بقي الحقيقة بعد هذا التقرير أن يُنظر في فعل السلف خصوصاً الصحابة والتابعين، والتابعين لهم من أهل القرون المفضلة هل أخذوا عن بني إسرائيل في مقام بيان كلام الله عز وجل وتفسيره له أم لا.

- كان أخذهم عنهم في مقام الاستشهاد والتفصيل: الذي وجدناه من فعل الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم أنهم أخذو عنهم - وذكروا رواياتهم في تفسير كلام الله عز وجل- ولكن ذلك وقع منهم في مقام الاستشهاد والتفصيل لما أُجمل دون الاعتقاد والتشريع، يعني أخذوا روايات بني إسرائيل في مقام الاستشهاد وتفصيل المجمل لا في بيان العقائد والأحكام الشرعية.
- كان أخذهم قليلا جدا: والصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون إذ أخذوا عن بني إسرائيل في هذا المقام في مقام الاستئناس والاستشهاد فإن الذي أخذوه عنهم قليلٌ جداً لا سيما الصحابة. فإن المروي عن الصحابة في باب ما روي عن بني إسرائيل قليل جداً، كيف نقول إنه قليلٌ جداً؟ ذلك إذا قارنت آلاف الروايات المروية عن الصحابة ستجد أنّ نسبة ما يشكله ما أخذوه من روايةٍ إسرائيلية عن بني إسرائيل قليلٌ جداً بل نستطيع أن نقول جازمين إنه نادر.

- قد يكون للصحابة مصادر أخرى أخذوا منها غير بني إسرائيل: مع أننا لا نُسلّم بأن كل ما يقوله الصحابة، لا سيما في القصص والأخبار، أنهم قد أخذوه عن بني إسرائيل، لأنه قد يكون هذا رأيه هو وقوله هو لم يأخذه عن بني إسرائيل، وإنما يكون له في ذلك مصدر آخر غير بني إسرائيل، هذا أمر.
- وأما ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو عن بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- من النهي عن الأخذ عن بني إسرائيل وإنكار الرواية عنهم، فتوجيه ذلك، كما يقول **العيني** في شرحه: "أنَّ ذلك كان أول الأمر، قبل ظهور العلم واستقرار أحكام الشريعة ورسوخها في القلوب مخافة الفتنة". يعني أن ذلك النهي كان قبل استقرار الشريعة وقبل رسوخها مخافة أن يكون هناك فتنة في التحديث عنهم، "أو أن المنهي عنه ما يتعلق بطلب الهداية من كتبهم"، يعني أن النصوص الواردة في النهي عن الأخذ عن بني إسرائيل سواء ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو ما ورد عن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- لعله محمول على أول الأمر قبل استقرار الشريعة ورسوخ أحكامها، أو أن ذلك النهي يتعلق بطلب الهداية من كتبهم.
- وقال **الطيبي**: "ولا منافاة بين إذنه هنا - يعني بالتحديث عن بني إسرائيل - ونهيه في خبر آخر عن التحديث عنهم، وفي آخر عن النظر في كتبهم - كما وقع مع عمر -رضي الله عنه- وسيأتي ذلك-. لأنه أراد هنا التحديث بقصصهم نحو قتل أنفسهم بتوبتهم، وبالنهي - يعني وبالنهي عن التحديث عنهم - العمل بالأحكام لنسخها بشرعه أو النهي في صدر الإسلام قبل استقرار الأحكام الدينية والقواعد الإسلامية فلما استقرت أَذِنَ لأمن المحذور".
- وهذا قد نقله **المناوي** في ***فيض القدير شرح الجامع الصغير***.
- فعل السلف الدال على جواز التحديث عنهم: وأيضاً بعد الصحابة والتابعين فإن فعل السلف دالٌ أيضاً على جواز التحديث عنهم، فإنا وجدنا أئمة التفسير يتتابعون من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين إلى يومنا هذا وهم ينقلون عن بني إسرائيل.
- والقول بجواز التحديث عنهم - حتى فيما يتعلق بالتفسير - لا يعني القبول المطلق بها، بل إن تلك الروايات تُوقَف عند باب النقد والنظر العلمي لها، فإذا جاءتنا الرواية تناقض شرعنا وتعارضه فإننا نردها، ولا نتردد في ذلك، كذلك إذا جاءت مناقضة للعقل الذي استقر عند الناس، أو مناقضة للسنن الإلهية المستقرة عند الناس، فإننا لا نقبلها.

✓ أقسام الرواية عن بني إسرائيل

ومن أحسن ما ورد في تفصيل ما يتعلق بحكم الرواية عن بني إسرائيل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الروايات الإسرائيلية تقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. **ما يوافق شرعنا فهو مقبول**، مثل أن موسى رسول بني إسرائيل، هذا ثابت في شرعنا، وهو أيضاً ثابت عندهم، وعلى هذا المعنى يحمل قوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، يعني فيما يوافق شرعنا.
2. **ما يخالف شرعنا، فهو مردودٌ عليهم ولا نقبله**، وعليه يحمل نهي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- لما أصاب عمر بن الخطاب كتاباً من بعض أهل الكتاب فأتى به النبيَ صلى الله عليه وسلم فأخذ يقرأ منه، فتغيّر وجه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال له: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطَّاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاءَ نقية، ولو كان موسى بن عمران حيّاً ما وسعه إلا اتّباعي"، وقال له: "لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبرونكم بحق فتكذبونه، أو بباطلٍ فتصدقونه"، وهذا الأثر وإن كان روي بأساليب متنوعة، لكن لا يخلو أحد منها من مقال، لكن مجموعها يجعله يرتقي إلى رتبة الحسن.
3. **ما لا يوافق شرعنا ولا يخالفه، وذاك المسكوت عنه**، فهذا المسكوت عنه **تجوز روايته**، لأنك لا تعلم صدقه من كذبه فأنت ترويه على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الاعتقاد، تستشهد به على تفصيل قصة وردت في القرآن الكريم، على تعيين مبهم، أو بيان مجمل مما ورد في القرآن الكريم، وهذا معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم".

هذا بإجمال ما يتعلق بحكم الرواية عن بني إسرائيل، وأنها تختلف بنوع المروي عنهم من حيث أنه يوافق شرعنا أو يخالفه أو مسكوتٌ عنه.

✓ أراء المهتمين والدارسين بالأخذ بالإسرائيليات

- ردها بإطلاق: قد يرد كثيراً عند بعض المهتمين والدارسين أن الأخذ عن بني إسرائيل يفتح باباً في الروايات المكذوبة، في الروايات المختلقة، في القصص التي تخالف العقل والسنن والفطرة الإلهية، ولأجل ذلك يجب أن نردها.
- قبولها بإطلاق: وآخرون يقولون إن السلف - رحمهم الله - قد رووا عنهم ونحن لا نخالف السلف. الناس بين طرفي نقيض في هذا الأمر، بين من يقبل كل شاذة وفاذة عن بني إسرائيل ولا يميز ولا يمحص، وبين من يردها بإطلاق.
- القول الوسط: نأخذها ضمن ضوابط، والحق والعدل بين هذا وبين هذا وذاك، إذ يجب علينا أن ننطلق من فعل السلف -رحمهم الله ورضي عنهم- من أصحاب القرون المفضلة كيف كانوا في تعاملهم مع تلك الروايات الإسرائيلية، نأخذها ضمن ضوابط.

✓ بعض الضوابط في التعامل مع الروايات الإسرائيلية

لأخينا فضيلة الدكتور **مساعد الطيار** محاولة لاستنباط بعض الضوابط في التعامل مع تلك الروايات الإسرائيلية تجعلنا نقبل تلك الرواية، ويتقوى الأخذ بها عند اجتماع هذه الضوابط، وقد استنبطها كما ذكر من صنيع الإمام الطبري رحمه الله، وهذه الضوابط هي:

1. موافقة كتاب الله عز وجل لها، ومعنى الموافقة، ألا يَرِد في كتاب الله ما يخالفها.
2. ألا يرد في السنة ما يعارضها، أي ألا يرد معارضاً لخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يردنا معارض من خبر النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الرواية الإسرائيلية فهذا أمارة تجعلنا نقبل تلك الرواية.
3. أن توافق لغة العرب، بمعنى أن تأتي أن توافق المعنى الذي يُفهم به نص الآية ولا يتناقض مع أساليب العرب وتركيبهم للكلام ونظمهم.
4. أن يتتابع الصحابة والتابعون على تلك الرواية الإسرائيلية دون اعتراض منهم عليها، هذا التتابع دليلٌ على قبولها في الجملة.
5. أن يكون من الأمور الممكنة غير المستحيلة، يعني أن يكون أمراً ممكناً، أما خوارق العادات ومناقضة السنن الإلهية فذاك يُرد عليهم.

هذه الضوابط الخمسة مهمة في الحقيقة، نجملها فنقول: ألا تعارض الكتاب، ألا تعارض السنة، وألا تعارض لغة العرب، وأن يتتابع الصحابة على قبولها، وأن تكون من الأمور الممكنة. هذه من الضوابط التي نستفيدها في قبولنا لروايات بني إسرائيل.

✓ هل الإسرائيليات من مصادر التفسير؟

وهذا سؤالٌ كبير الحقيقة، وبمعنى آخر، هل نحن بحاجة إلى الإسرائيليات في تفسير كلام الله عز وجل؟ قبل أن نجيب على هذا السؤال المهم لا بد أن نقرر معنى التفسير بالإسرائيليات، وحقيقته، والمقصود، والمقصود به:

- لا يتوقف تفسير كلام الله على الروايات الإسرائيلية: فإذا كان المراد بالتفسير بيان معاني القرآن الكريم والكشف عنها بحيث أن القارئ يفهم مراد الله عز وجل، فنستطيع القول جازمين بأننا لسنا بحاجة إلى الروايات الإسرائيلية في تحقيق هذا المعنى، أعني به أن نفهم كلام الله، وأن نفهم مراده، وأن نعمل به، فكلام الله لا يتوقف على شيء من تلك الروايات الإسرائيلية وأعني بذلك معاني الألفاظ ودلالاتها، ولا يعني هذا أن القصة القرآنية قد تكون استوعبت كل أجزاء الخبر، كلّا.
- الرواية الإسرائيلية قد تذكر تفصيلات غير مهمة لفهم المعنى الأساسي: قد يرد في القصة القرآنية، إغفال بعض أحداث تلك القصة، لكن هذا الإغفال لا يؤثر علينا في فهم معنى القصة، ولا يؤثر في الاستدلال بها، ولا

يؤثر في العمل بمقتضاها. نعم، قد تكون الرواية الإسرائيلية فيها تفصيل لما أُجمل في القرآن الكريم، لكن هذا التفصيل لا يؤثر في فهم حقيقة القصة، ولنضرب على ذلك مثالاً: اسم صاحب القرية مثلاً، أو أصحاب القرية، اسم القرية نفسها، اسم الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، اسماء أصحاب الكهف، أعدادهم، في أي زمن كانوا، هذه كلها تفاصيل لم ترد في القصة القرآنية قصداً، ونحن نستطيع أن نفهم المعنى العام للقصة، ونستفيد منها، ونعمل بمقتضاها، دون أن نرجع إلى الروايات الإسرائيلية، وفي الوقت ذاته فإن الروايات الإسرائيلية ستفيدنا في هذه التفصيلات في أسماء صاحب القرية، في أسماء أهل القرية، في مكان القرية وزمانها، لكنها تفصيلات غير مؤثرة في فهم المعنى الأساسي للآية الكريمة، فهي تتعلق بتوضيح مجمل أو تعيين مبهم، ولكنها لا تؤثر في فهم أصل المعنى.

- ليس بالضرورة أخذ الصحابة والتابعين من بني إسرائيل: أمرٌ آخر، ولعلي أشرت إليه سابقاً في أثناء الكلام، وهو أن بعض الروايات المروية عن الصحابة والتابعين في تفصيل تلك القصص القرآنية المجملة، ليست بالضرورة أنهم أخذوها عن بني إسرائيل، قد تكون لهم مصادرهم الأخرى التي تلقوها، وتلقوا ذلك الخبر منها أيا يكن ذلك المصدر، فلا يلزم أن تكون تلك الرواية عنهم هي مما أخذوه عن بني إسرائيل، بل هذا القول هو قول الصحابي أو قول التابعي، قوله هو ورأيه هو، قد يكون أصاب فيه، وقد يكون أخطأ، ولكنه هو رأيه وليس بالضرورة أن يكون أخذها عن بني إسرائيل، تصورنا لهذا الكلام كله يجعلنا نجزم يقيناً أن الروايات عن بني إسرائيل عن الصحابة قليلةٌ جداً، بل نادرة.
- تلك الأخبار المروية عن بني إسرائيل أيضاً هي مما لا يُقطع بصدقه ولا بكذبه، وذلك بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم "فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم". وإذا كان هذا الحال أن غالب تلك الروايات الإسرائيلية لا نستطيع الجزم بصدقهم فيها أو كذبهم، فكيف يكون الاعتماد عليها، وكيف يُزعم أنها أحد مصادر التفسير، وتجعل من مصادر تفسير السلف الروايات الإسرائيلية، مع أنها أيضاً نادرة، ثم أيضاً هي لا نستطيع الجزم بصدقهم أو كذبهم فيها، ولهذا يقول الدكتور **حسين المحبي** تعليقاً على هذا المعنى: "فإن قيل بل يمكن الجزم بالمعاني والبيان الذي استقلت الإسرائيليات ببيانه، قلنا هذا مخالفٌ لنص قول النبي صلى الله عليه وسلم الصريح الذي لا يحتمل تأويلاً وهو قوله صلى الله عليه وسلم :"إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، -يقول-: والقاعدة المقررة عند أهل العلم، وهي من أصول الاستدلال عند أهل السنة أن ما لا يدرك علمه بالعقل، فلا بد فيه من الخبر الصادق المحض، وهذا المعنى ثابت بأدلة القرآن والسنة القطعية".

- يعني يقول **المحبي** أن ما لا يدرك بالعقل فلا بد فيه من النقل ولا بد أن يكون ذلك النقل صحيحاً، ونحن نعلم أن تعاملنا مع روايات بني إسرائيل يكون كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم".

وأخيراً، فالتطبيق الذي وجدناه عند السلف وخصوصاً الصحابة يشهد لهذا المعنى الذي نقرره، فجُل ما روي عن الصحابة، إن لم يكن جميعه، من هذا الباب، أعني به بيان الإجمال وتعيين الإبهام في القصص والأخبار، يسوقها الصحابة على سبيل الاستشهاد والاستئناس، لا على سبيل الاستدلال بها في مسائل العقائد ومسائل الأحكام.

بهذا أيها الإخوة نكون أنهينا الكلام عن هذه المسألة المهمة، وبانتهائنا منها نكون قد انتهينا من الكلام عن المرحلة الأولى من مراحل تاريخ التفسير.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**.

قام بالمراجعة الأولى: **خلدون الأتاسي.**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الرابعة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد، تكلمنا أيها الأخوة الكرام في اللقاءات السابقة عن المراحل التي مر بها تاريخ علم التفسير ، تكلمنا عن **المرحلة الأولى من مراحل تاريخ التفسير** وهي **مرحلة النشأة والظهور**، وتشمل هذه المرحلة: مرحلة **التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه** -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، ثم **التفسير في عصر التابعين** -رحمهم الله. وتكلمنا في هذه المرحلة بإسهاب، وذكرنا سماتها ومميزاتها، وبعض المسائل المهمة فيها كالحديث عن الإسرائيليات ودخولها في التفسير، والحديث أيضا عن الضعف في التفسير بالمأثور، ومواقف أهل العلم والدارسين من هذا الضعف في التفسير بين الإفراط والتفريط، وتكلمنا عن بعض النقاط المهمة في هذا الصدد . واليوم إن شاء الله عز وجل سنبدأ الحديث عن **المرحلة الثانية من تاريخ علم التفسير** وهي:

التفسير في عصور التدوين

((أشار **الذهبي** في كتابه ***التفسير والمفسرون***، الجزء الأول، إلى ابتداء هذه المرحلة من مبدأ ظهور التدوين في أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين، ثم قسّم التفسير إلى خطوات، هذا ملخصها:

1. **الخطوة الأولى للتفسير**: كان التفسير قبل عصر التدوين يتناقل بطريق الرواية. فالصحابة يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروي بعضهم عن بعض، والتابعون يروون عن الصحابة كما يروي بعضهم عن بعض.
2. **الخطوة الثانية**: بعد عصر الصحابة والتابعين، خطا التفسير خطوة ثانية حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية من مبدئه إلى منتهاه، بل وجد من العلماء من طوّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما روي في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو إلى التابعين، ومن هؤلاء: يزيد بن هارون السلمي (ت 117هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت 160هـ)، ووكيع بن الجراح (ت 197هـ)، وسفيان بن عيينة (ت 198هـ)، وغيرهم، وهؤلاء جميعا كانوا أئمة حديث، فكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعا للتفسير على استقلال وانفراد، وجميع ما نقله هؤلاء الأعلام عن أسلافهم من أئمة التفسير نقلوه مسندا إليهم، غير أن هذه التفاسير لم يصل إلينا شيء منها، ولذا لا نستطيع أن نحكم عليها.

3. **الخطوة الثالثة**: بعد ذلك خطا التفسير خطوة ثالثة انفصل بها عن الحديث فأصبح علماً قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل آية من القرآن، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف. وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجه (ت 273هـ)، وابن جرير الطبري (ت 310هـ)، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت 318هـ)، وابن أبي حاتم (ت 327هـ)، وأبو الشيخ بن حبان (ت 369هـ)، والحاكم (ت 405هـ)، وغيرهم من أئمة هذا الشأن. وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

وإذا كان التفسير قد خطا هذه الخطوة الثالثة التي انفصل بها عن الحديث فليس معنى ذلك أن هذه الخطوة محت ما قبلها وألغت العمل به، بل معناه أن التفسير تدرج في خطواته، فبعد أن كانت الخطوة الأولى للتفسير هي النقل عن طريق التلقي والرواية، كانت الخطوة الثانية له، وهي تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة، وهي تدوينه على استقلال وانفراد، فكل هذه الخطوات ثم إسلام بعضها إلى بعض، بل وظل المحدثون بعد هذه الخطوة الثالثة يسيرون على نمط الخطوة الثانية من رواية المنقول من التفسير في باب خاص من أبواب الحديث مقتصرين في ذلك على ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة أو عن التابعين.

4. **الخطوة الرابعة**: لم يقف التفسير عند هذه الخطوة الثالثة بل خطا بعدها خطوة رابعة، لم يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور، وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد، فصنَّف في التفسير خلق كثير، اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن ينسبوها لقائليها، فدخل الوضع في التفسير والتبس الصحيح بالعليل، وأصبح الناظر في هذه الكتب يظن أن كل ما فيها صحيح، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم، ونقلوا ما جاء في هذه الكتب من إسرائيليات على أنها حقائق ثابتة، وكان هذا هو مبدأ ظهور خطر الوضع والإسرائيليات في التفسير.

5. **الخطوة الخامسة**: ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة خامسة وهي أوسع الخطا وأفسحها، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصورا على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة، تجتوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ في ذلك.))[1]

إذن، هذه المرحلة من تاريخ التفسير، وهي عصور التدوين، تبدأ تقريبا من القرن الثاني الهجري وتمتد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، فهي على هذا تشمل أواخر عصر التابعين وأتباع التابعين ، وهذه المرحلة شهدت ظهور التدوين في علوم الشريعة كلها. إذا رجعنا إلى المصادر التي تكلمت عن تاريخ التدوين في علوم الشريعة سنجد أنهم يشيرون إلى أن التدوين في علوم الشريعة قد ظهر في القرن الثاني الهجري، وذلك لأن تناقل علم الشريعة قبل هذه

[1] هذه الفقرة ليست من كلام المحاضر، بل منقولة بتصرف من كتاب "التفسير والمفسرون"، الدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 104-108

المرحلة، كما أشرنا سابقاً، كان عن طريق الرواية والمشافهة وكان هذا هو الأصل. نعم، قد يوجد مدونات، ويوجد رسائل مختصرة، كتابات مختصرة لكن السمة الغالبة قبل هذه المرحلة كانت نقل العلم عن طريق الرواية والمشافهة.

أما في هذه المرحلة فقد بدأ التدوين لعلوم الشريعة ومن ضمنها **علم التفسير** الذي حظي بالاهتمام والعناية مبكرا؛ بل يمكن أن نقول أن التدوين في علم التفسير ظهر في آواخر القرن الأول الهجري، فإذا استثنينا بعض المؤلفات التي ظهرت في آواخر القرن الأول الهجري نستطيع أن نقول أن **بداية القرن الثاني الهجري هي البداية الفعلية للتدوين في علوم الشريعة ومن ضمنها علم التفسير.**

ليس من السهل معرفة أول من دوَّن تفسير كل القرآن مرتبا:

لا نستطيع، بل من العسير علينا أن نعيّن بالضبط المفسر الأول الذي فسر القرآن آية آية، ودوَّنه على التتابع وحسب ترتيب المصحف، والسبب في ذلك يرجع إلى أن تاريخ التدوين في علوم الشريعة، ومن ضمنها علم التفسير لم يلق عناية دقيقة تكشف عن مراحله وتفاصيله، لا سيما المراحل المتقدمة الأولى المتعلقة بنشأته وظهوره، وهذا ناتج أصلا من أن طبيعة البحث في تاريخ العلوم بصفة عامة أمرٌ صعب ويحتاج إلى تنقيب ويحتاج إلى جهد ووقت كبير، لهذا انصرفت همة كثير من الباحثين عن هذا الموضوع، مما يجعلنا نقول أنه من المواضيع التي لم يتم التطرق إليها بشكل كبير.

ما الذي يعين الباحث على النظر والبحث في تاريخ علوم الشريعة، ومن ضمنها تاريخ علم التفسير؟ من أهم المصادر التي تعتني بهذا الأمر هي:

- كتب الطبقات والتراجم التي عرَّفَت بالعلماء،
- والكتب التي تعرف بالمدونات في علوم الشريعة مثل كتاب ***كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون***، لحاجي خليفة،
- والنظر في المؤلفات التفسيرية ذاتها أو غيرها، فهذه المؤلفات تحيل إلى المصادر السابقة والمتقدمة عليها،

ومما يجعل البحث في تاريخ تدوين علم التفسير أمراً صعباً، هو صعوبة الوصول لذات المؤلفات التي يذكرها أهل العلم، فقد يذكر أهل العلم أن فلانا ألّف في التفسير، وفلانا ألف في التفسير، لكننا لا نستطيع الوصول إلى تلك المؤلفات، لأن الكثير من تراثنا العلمي ضاع بسبب عوامل متنوعة، ليس هذا وقت الحديث عنها.

كما أن بعض تلك الصحف والمدونات المتقدمة قد تنسب إلى من كتبها، وليس لهذا الكاتب إلا مجرد الرواية فقط في هذا الكتاب، فما هو إلا راوٍ عن من أخذ عنه، وهذا الأمر يقع كثيراً في المدونات المنسوبة إلى التابعين وأتباع التابعين.

لعلنا نوضح ذلك بمثال مثلا : عَزرة ابن عبدالرحمن كتب التفسير عن مجاهد فلا يستقيم أن ينسب التفسير إليه لأن هو في الحقيقة راويه عن مجاهد. ومثل ما ذكره علي ابن المديني عن يحيى ابن سعيد يقول : قال معاذ، قال ورقاء، كتاب التفسير، قرأت نصفه على ابن ابي نجيح وقرأ نصفه علي، وقال ابن أبي نجيح هذا تفسير مجاهد ، فماله في ذلك إلا مجرد الرواية. فمثل هذه المدونات الحق أن تنسب إلى من رويت عنه لا من كتبها لأنه لا يعدو أن يكون مجرد ناسخٍ أو راوٍ.

فهذه العوامل تجعل البحث في أول من ألّف في التفسير، والبحث في تاريخ التدوين في علم التفسير، تجعله صعبا، ويجعلنا لا نستطيع القطع بمتى ظهرت أول مدونة كامله في التفسير، وأعني بمدونة كاملة، بمعنى أنها تجمع تفسير القرآن الكريم سورة سورة وآية أية.

ولكن كل الذي بين أيدينا وكل ما نعلمه من خلال كتب الرواة، ومن خلال كتب الجرح والتعديل، ومن خلال كتب فهرسة المدونات وكتب التفاسير، إنما يثبت أن التدوين لهذا العلم لم يتأخر كثيرا بل بدأ مبكرا. فإذا نظرنا إلى كتب التراجم، وإلى كتب الجرح والتعديل، وإلى كتب الطبقات، وإلى كتب المفسرين المتقدمين سنكتشف من خلالها أن التدوين في علم التفسير لم يتأخر كثيرا؛ بل لم يتأخر إلى القرن الثاني حيث ظهرت إشارات إلى التدوين في علم التفسير في أواخر القرن الأول الهجري، لهذا يرى بعض الباحثين أن التدوين في علم التفسير لم يتأخر إلى القرن الثاني الهجري بل ظهر في أواخر القرن الأول الهجري، فهناك مثلا من يرى أن **مجاهد ابن جبر** هو أول من كتب تفسيرا كاملا للقرآن، ثم تبعه بعد ذلك **سعيد ابن جبير** وهذا في حدود سنة 85 للهجرة، إذن فهو في أواخر القرن الأول الهجري.

وبكل حال يمكن أن يقال أن **أول كتابٍ وصل إلينا كاملا في تفسير القرآن الكريم هو كتاب مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**، المتوفى سنة 150 للهجرة، والذي طُبع أخيرا بتحقيق الدكتور أحمد فريد في ثلاث مجلدات. هذا الكتاب يمكن أن يقال أنه أول كتاب وصل إلينا في تفسير القرآن كاملا عن مقاتل ابن سليمان.

تشير كتب الطبقات وكتب التراجم إلى أن عددا من الأئمة الكبار المشهورين قد ألفوا في التفسير في وقت مبكر مثل: **سُنيد ابن داود المصيصي** المتوفى سنة 226 هـ ، يقول أبو حاتم الرازي: لسُنيد تفسير كبير رأيته كله بالأسانيد. فهو قد رآه واطلع عليه لكننا لم نجده الآن وبالتالي هو بالنسبة إلينا كتاب مفقود. وأيضاً، **سعيد ابن منصور** المتوفى 227هـ ، كذلك، **محمد بن أبي شيبه** المتوفى سنة 235 هـ، و**اسحاق ابن راهوية** المتوفى سنة 238 هـ ، كذلك **أبو عبد الرحمن، بقي ابن مخلد** المتوفى سنة 276 هـ. كل هؤلاء نسبت إليهم تفاسير للقرآن الكريم لكن الكثير منها لا نستطيع تبينه ومعرفته لأننا لم نجده ولأنه أيضا مفقود.

✓ طرق التدوين في التفسير في هذه المرحلة

الطريقة الأولى: أن يؤلَّف في التفسير استقلالاً فلا يدخل معه غيره:

- كانت غالب التفاسير التي على هذه الطريقة صحفا مروية بالإسناد، مثل تفسير **سعيد ابن جبير**، المتوفى سنة 94 هـ، الذي أشرنا إليه والذي كتبه عنه عَزرة ابن عبد الرحمن. قال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" في ترجمة عطاء ابن دينار الهذلي، المتوفى 126هـ، قال: "كان عبدالملك ابن مروان (المتوفى سنة 86هـ) سأل سعيد ابن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير"، إذن، هذا نص واضح يثبت أن سعيد بن جبير كتب تفسيرا للقرآن الكريم في أواخر القرن الأول الهجري.
- كذلك **عطية العوفي**، المتوفى سنة 111هـ،
- وإسماعيل **بن عبد الرحمن السدي**، المتوفي سنة 127 هـ،
- **وزيد ابن اسلم**، المتوفى سنة 136 هـ، يقول ابن حجر في "العجاب في بيان الأسباب": تفسير زيد ابن اسلم من رواية ابنه عبد الرحمن عنه وهي نسخة كبيرة، فهذا يدل على أنه اطلع عليها أو وقف على شيء منها.
- تفسير **علي ابن طلحة**، المتوفى سنة 143 هـ.
- تفسير **مقاتل ابن سليمان**،المتوفى سنة 150 هـ، والذي اشرنا إليه، وهو يعتبر أول كتاب وصل إلينا لتفسير القرآن كاملا مطبوع ومتداول.
- تفسير **وكيع ابن الجراح**، المتوفى سنة 197 هـ.
- تفسير **يحي ابن سلام البصري** المتوفى سنة 200 هـ، تفسير يحيى ابن سلام طبع جزء منه بتحقيق الدكتورة هند شلبي
- كذلك، تفسير **عبد الرزاق الصنعاني**، المتوفى سنة 211هـ.

فكل هذه صحف في التفسير تُروى في غالبها مسندةً عن من نسبت إليه

ما الذي ميز هذا النوع من التفسير؟

يتميز بأنه يعتني ببيان مفردات ألفاظ القرآن الكريم وبيان غريبه، كذلك يعتني ببيان أسباب النزول، ويشير إلى ناسخ القرآن ومنسوخه فيها، كما يهتم بتعيين المبهم من الأسماء أو البلدان أو التواريخ أو حتى الأماكن، كذلك يعتني ببيان قصص القرآن الكريم وبيان أحكامه. هذه الصحف وهذه المدونات لا تخرج عن هذا الذي أشرت إليه، وهي في الحقيقة امتداد لما أشرنا إليه من خصائص التفسير في المرحلة الأولى، مرحلة النشأة والظهور.

الطريقة الثانية: أن يؤلف في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير المرتبطة به ارتباطا وثيقا:

مثل: إعراب القرآن، معاني القرآن، ناسخ القرآن ومنسوخه، مشكل القرآن، نزول القرآن، مبهمات القرآن ، أحكام القرآن. فهذه الطريقة الثانية في التفسير هي في حقيقتها تفسير للقرآن لكن تفسير من ناحية معينة إما بيان غريبه، وإما بيان مشكله، وإما بيان ناسخه ومنسوخه، وإما بيان أسباب نزوله، أو تعيين مبهمه، وهكذا.

والتفسير في هذه المرحلة له أهمية إذ هذه المرحلة هي أساس الحركة العلمية المرتبطة بالتفسير، فكل الحركة العلمية المتعلقة بالتفسير هي في أساسها تنطلق من هذه المرحلة، ولهذا سنفصل القول في بعض تلك الفنون المتعلقة بالتفسير على نحو يساعدنا في تجلية صورة التأليف في تلك المرحلة. **لماذا ؟** لأن هذه المدونات التي ظهرت في هذه المرحلة عليها قام التفسير، وكل من جاء بعدهم من المفسرين وكل كتب التفسير التي ظهرت بعد ذلك إلى يومنا هذا كلها الحقيقة تعتمد على هذه المدونات بشكل كبير، ولهذا سنقف عند بعض هذه العلوم المتعلقة بالتفسير ونذكر بعض أهم المؤلفات فيها، ونبدأ بالكلام عن علم إعراب القرآن الكريم.

✓ علم إعراب القرآن الكريم

معنى كلمة الإعراب في اللغة: الإفصاح، أعرب عن الشيء بمعنى أفصح عنه ، وأعرب عن مراده يعنى أفصح عن مراده. وتعريف الإعراب عند النحاة هو: تغير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظا أو تقديرا .

يقول الإمام البيهقي نقلا عن الحليمي قال : ومعنى إعراب القرآن شيئان:

أحدهما: أن يحافظ على الحركات التي يتميز بها لسان العرب عن لسان العجم،

والآخر: أن يحافظ على أعيان الحركات ولا يبدل شيء منه لأن ذلك ربما أوقع فيه اللحن أو غيّر المعنى.

هذا معنى إعراب القرآن، لكن **ما الثمرة من علم إعراب القرآن؟** هو صيانة القرآن عن اللحن وتلاوته تلاوة صحيحة كما أُنزل بلسان عربي مبين، وهذا يجعل معانيه تظهر، وروعة بيانه تستبين، وإعجاز لفظه يتبين، قال الله تعالى: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف : 2].

قبل أن نذكر أمثلة على المدونات في إعراب القرآن في تلك المرحلة، أشير إلى أن هناك نوع تداخل بين ما يتعلق بإعراب القرآن الكريم ومعاني القرآن الكريم، ونحن لا يخفى علينا العلاقة بين المعنى والإعراب لأن الإعراب يرتبط بالمعنى فبحسب المعنى يكون الإعراب، ولذلك كثير ممن ألف في إعراب القرآن الكريم يربطونه بمعاني القرآن الكريم، مثلا، **أبوزكريا الفراء**، المتوفى سنة 207 هـ، وكذلك، **الأخفش**، المتوفى سنة 215هـ، و**أبو إسحاق الزجاج**، المتوفى سنة 311هـ، كل هؤلاء نجد أن تأليفهم في إعراب القرآن له ارتباط بالمعاني، بل قد نص الفراء على ذلك في كتابه ***معاني القرآن***، يقول : "هذا تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه"، فهو يذكر الصلة الوثيقة بين إعراب القرآن وبين معانيه. كذلك، الزجاج، المتوفى سنة 311هـ، يقول في مقدمة كتابه: "هذا كتاب مختصر في إعراب

القرآن ومعانيه". كما نجد بعض أهل العربية ممن لم يكن من المفسرين لهم أيضا عناية بإعراب القرآن الكريم، مثل **قطرب**، **محمد ابن المستنير**، المتوفى سنة 206 هـ، ومثل **أبي عبيدة**، **معمر بن المثنى**، المتوفي سنة 209هـ، كلهم ألفوا في إعراب القرآن.

طريقة التأليف في علم إعراب القرآن الكريم

ويمكن أن يقال أن التأليف في إعراب القرآن الكريم كان على طريقتين: إما أن يكون هناك مؤلف مستقل تماما بهذا العنوان "إعراب القرآن الكريم" فيقتصر على المسائل الإعرابية المرتبطة بالقرآن الكريم، أو أن يكون البحث في إعراب القرآن الكريم ضمن كتب التفسير وكتب معاني القرآن الكريم، يعني بمعنى أن الكلام عن إعراب القرآن جاء تابعا وليس استقلالا.

ظهر بعد القرن الثالث وفي أوائل القرن الرابع الهجري ظهرت مؤلفات متنوعة بهذا العنوان "إعراب القرآن الكريم". أول كتاب مطبوع متداول في إعراب القرآن بين أيدينا اليوم هو كتاب ***إعراب القرآن*** تأليف: **أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس**، المتوفى سنة 338هـ.

تنبيه أخير في هذا الصدد، وهو أن غالب المؤلفات في إعراب القرآن الكريم مغرقة في مسائل النحو، إذا قرأتها تشعر وكأنك لا تقرأ كتابا في التفسير، وكأنها لا صلة لها ببيان القرآن الكريم، وإنما هي بحث نحوي صرف مغرِق في البحث النحوي حتى إنك لتجد من التفصيلات فيها ما لا تجده في كتب النحو التي ألفت قصدا في علم النحو.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، فقد قمتُ بإعادة صياغة هذه المحاضرة بالكامل وإضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، كما قمت بمراجعة، والتحقق من كافة أسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم.



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الخامسة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد،

كُنا في المحاضرة الماضية قد بدأنا بالكلام عن المرحلة الثانية من مراحل تاريخ علم التفسير وهي **مرحلة التدوين**، وأشرنا إلى أن أهمية هذه المرحلة ترجع إلى أننا بحاجة إلى التفصيل فيها وذِكر أنواع التدوين فيها، وأشرنا إلى نوعين من أنواع التدوين في هذه المرحلة :

- النوع الأول: أن يُؤَلَّف في التفسير استِقلالاً.
- والنوع الثاني: أن يُؤَلَّف في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير، كعلم إعراب القرآن، وكعلم معاني القرآن، وضربنا أمثلة على بعض المؤلفات في إعراب القرآن الكريم.

ونستكمل في هذه المحاضرة بإذن الله عز وجل اﻟﺤﺪيث عن بعض العلوم المتعلقة والمرتبطة بالتفسير، وتاريخ التدوين فيها.

✓ علم معاني القرآن الكريم

علم معاني القرآن هو من العلوم المتعلقة بالتفسير، ونقصد بمعاني القرآن الكريم: بيان ألفاظ العربية وأساليبها التي ورد بها القرآن الكريم ونزلت به آياته، بما يكشف عن إعجاز القرآن الكريم وبيانه. وهذا العلم - أعني به علم معاني القرآن الكريم - كسَابقِه الذي تكلمنا عنه في المحاضرة الماضية، علم إعراب القرآن، ظهر على أيدي علماء العربية؛ ولهذا فقد تأثّر بطريقتهم.

التأليف في علم معاني القرآن الكريم

التأليف في بادئ هذا العلم تأثّر بطريقة النّحويين وطريقة علماء العربية في الكتابة والتأليف، وفي مناهجهم؛ ولهذا تجد أن المؤلفين فيه يكتبون في معاني القرآن ويذكُرون بحثهم على طريقة أهل العربية، ثم في أثناء تأصيل المسألة يقولون مثلا: قال أهل التفسير كذا وكذا، وكأنهم بمَعزلٍ عن المفسرين أو عن أهل التفسير، مع أن الأساس والإنطلاق كان من أقوال أئمة التفسير المتقدمين. بحسب ما تذكر لنا المصادر التاريخية، نجد أن التأليف في هذا العلم كان كالتالي:

- أول من نُسب إليه الكتابة في معاني القرآن الكريم هو: **محمد أبو الحسن الرُّؤاسي**، المتوفى سنة 170 للهجرة،
- ثم، **يونس بن حبيب**، المتوفى سنة 182 للهجرة ،
- ثم، **الكسائي**، علي بن حمزة، المتوفى سنة 189 للهجرة،
- ثم، **الفَرّاء**، يحيى بن زياد، المتوفى سنة 207 للهجرة، وهو صاحب أول مُدوَّنة بَلَغَتنا وتداولناها في علم معاني القرآن الكريم هو كتاب ***معاني القرآن***.
- ثم، **الأخفش الأوسط**، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المتوفى سنة 215 للهجرة.

✔ علم غريب القرآن

علم غريب القرآن هو من العلوم المرتبطة بالتفسير الخادمة له. وغريب القرآن الكريم يُراد به بيان معاني مفردات القرآن الكريم، وهو لا يقتصر في حقيقته على الألفاظ الغريبة؛ بل هي مؤلفات تعتني بدلالة ألفاظ القرآن الكريم. فهي بهذا **جزء من علم معاني القرآن الكريم** لأن علم المعاني يقوم على بيان المُفردَة أولاً، ثم بيان معنى الآية الكريمة في ضوء ذلك، هذا معنى معاني القرآن، يُبيّن اللّفظة ثم معنى الآية في ضوء ذلك.

التدوين في علم غريب القرآن الكريم:

التّدوين في علم غريب القرآن الكريم قديم؛ وقد ذكَر أهل التّراجم وكُتب تاريخ أن التدوين في هذا العلم كان كالتالي:

- مِن أول مَن دَوّن في ذلك هو **زيد بن علي**، بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، المتوفى سنة 122 للهجرة، ونسب له كتاب باسم ***غريب القرآن***،
- ثم، **أَبَان بن تَغلِب**، المتوفى سنة 141 للهجرة، وله كتاب باسم ***غريب القرآن***،
- ثم، أبو عُبيدة، **مَعمَر ابن المُثَنَّى**، المتوفى سنة 209 للهجرة،
- ثم، **الأخفش الأوسط**، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المتوفى سنة 215 للهجرة ،
- ثم، عبد اللَّه بن مُسْلِم **بْنِ قُتَيْبَةَ**، المتوفى سنة 276 للهجرة.

كل هؤلاء قد ألَّفوا في غريب القرآن؛ إلا أن كتاب **أَبِي عُبَيْدَةَ، مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى** المسمى ***مجاز القرآن***، وهو كتاب مطبوع متداول، هو **من أشهر كتب غريب القرآن**، بل هو من أكثرها أثراً وتأثيراً في من جاء بعده، سواء ممن ألّف في غريب القرآن ومعانيه، أو حتى من ألّف في التفسير. وقد لقي هذا الكتاب استنكاراً حتى في أوائل ظهوره، استنكاراً من أهل عصر زمانه، ويُرجع بعض الباحثين السبب في ذلك إلى أنه ربما سار على طريقةٍ تُخالف ما عليه أهل عصره.

طريقة التأليف في غريب القرآن

وبكل حال فالتأليف في غريب القرآن الكريم على طريقتين:

1. **الطريقة الأولى: أن يسير في ترتيب المصحف**؛ يسير في تأليفه على ترتيب المصحف فيبدأ بالسور في القرآن بحسب ترتيبها في المصحف، ثم يبدأ بالآيات بحسب ترتيبها في كل سورة، فيبدأ بالبقرة ثم يبدأ بأول آية وثاني آية بحسب ما فيها من ألفاظ غريبة يتناولها بالبحث والبيان والدراسة، من فاتحة الكتاب إلى سورة الناس.
2. **الطريقة الثانية: ألا يرتبط بترتيب المصحف بل يرتبط بالترتيب الهجائي للألفاظ** التي سيدرسها؛ الترتيب الهجائي للألفاظ الغريبة أو الألفاظ محل الدراسة. يجمع هذه الألفاظ ويُرتّبها على حسب حروف الهجاء؛ يبدأ بحرف الألف ثم الباء حتى آخر المصحف. مثل كلمة (أَبّا) هذه كلمة غريبة، فيبدأ بها مع أنها في آخر المصحف، ولكنه يبدأ بهذه الكلمة لأنها تبدأ بحرف الألف (أَبّا)، وهكذا حتى آخر المصحف.

هاتان طريقتان للتأليف في غريب القرآن الكريم.

✔ علم مُشكِل القرآن الكريم

من العلوم أيضاً المرتبطة بالقرآن وبتفسير القرآن الكريم "علم مُشكِل القرآن الكريم". ويراد بمُشكِل القرآن الكريم المُتَشابَه منه، أو ما دَقّ فهمُه واحتاج إلى نظَرٍ دقيق حتى يُفهم المراد منه. هذا الإشكال الذي يقع في معاني القرآن الكريم إما أن يكون متعلقاً بذات الآية بأن يكون فهم المعنى المراد منها أمراً مشكلاً غامضاً، أو لا يتعلق بالآية بل بما يلزم على فهمنا للآية؛ فقد تكون الآية واضحة في معناها لكن هذا المعنى الذي هو واضح وظاهر من الآية يترتّب عليه لوازم وأمور مُشكلة. فإذاً الإشكال قد يكون في ذات الآية أو فيما يلزم على فهم هذه الآية.

التأليف في علم مُشكِل القرآن الكريم:

التأليف في مُشكل القرآن الكريم في أول ظهوره كان سببه الرد على أهل الزندقة الذين يطعنون في دين الله عز وجل، وأول طريقة لهم في الطعن في دين الله كانت بالطّعن في أساسه وهو القرآن الكريم، فيثيرون الإشكالات بقصد الطّعن في القرآن الكريم والتشكيك في مصدره والتشكيك في مضمونه، أو التشكيك في بعض المعاني التي تُفهم منه، أو في ترتيب نَظمِه، بحسب أنواع الطعون والتشكيك. ووسائلهم في ذلك متعددة ومتنوعة، ولهذا وبحسب المصادر التاريخية فإن:

- **قُطْرُب، محمد بن المُستنير**، المتوفى سنة 206 للهجرة، يُعتبر هو أول من ألّف في غريب القرآن الكريم في مُشكل القرآن الكريم، وسمّاه - وهذه التسمية تشير إلى ما نحن نقرره من سبب التأليف في هذا العلم - سمّاه ***الرد على الملحدين في متشابه القرآن***، فهو في قصده للتأليف أن يرد على الملحدين.

- ثم، عبد اللَّه بن مُسْلِمِ **بْنِ قُتَيْبَةَ**، المتوفى سنة 276 للهجرة ، ألّف كتابا وهو يعتبر من أشهر، إن لم يكن أشهر، كتب مُشكل القرآن الكريم أسماه ***تأويل مشكل القرآن الكريم***.

✓ علم الوجوه والنَّظائر

من العلوم أيضا المتعلقة بالتفسير أيضاً نجد "علم الوجوه والنَّظائر"، فما معنى كلمة وجوه وكلمة نظائر؟ اختلف العلماء في تحديد معنى هذين المصطلحين، لكن أصح ما يقال أن المراد بـ **الوجوه** هو: **المعاني المختلفة الواردة على اللفظ الواحد**. بمعني أن يأتي لفظ واحد وله عدد من المعاني والإطلاقات التي تستعمل له. مثال ذلك: كلمة "عين"؛ العين تتكون من حرف العين والياء والنون (عين)، ممكن أن نطلق كلمة العين ونريد بها هذه العين المبصرة، الجارحة المعروفة. وقد نطلقها ونريد بها الماء الجاري، فنقول هذه عين جارية، الماء التي تنبع من الأرض وتجري، فهي لفظة واحدة (عين) تستعمل لعدد من المعاني هذا معنى الوجوه.

النظائر، المقصود بها **أن يأتي للمعنى الواحد نظائر أخرى بألفاظ أخرى مختلفة**، مثال ذلك ألفاظ: أَقْبِل، وهَلُمَّ، وإِلَيَّ، وقَصْدي،فهي نظائر لكلمة "أَقبِل".

تعليق على تعريف الوجوه والنظائر، لم يرد على لسان المحاضر وإنما تم إضافته للإفادة:

((أورد الدكتور مساعد الطيار المعنى الذي فهمه لمصطلح الوجوه والنظائر في كتابه (التفسير اللغوي) 91-94 فقال ما نصه:

"الوجوهُ : المعاني المختلفةُ لِلَّفظةِ القرآنيةِ في مواضعِها من القرآنِ.

والنَّظَائِرُ : المواضعُ القرآنيةُ المتعدِّدَةُ للوجهِ الواحدِ التي اتفقَ فيها معنى اللَّفظِ ، فيكون معنى اللَّفظ في هذه الآية نظيرَ (أي : شبيه ومثيل) معنى اللَّفظِ في الآيةِ الأخرى ، واللهُ أعلمُ "

فعلى هذا تكون (الوجوه) من باب المشترك اللفظي غالباً ، وأما النظائر فليست إلا مجرد أمثلة أخرى للوجه الواحد ، ولكن في مواضع أخرى ، ولا تعد حينئذٍ من المشترك ولا من المترادف))

منقول من موقع: ملتقى أهل التفسير على لسان الدكتور عبد الرحمن الشهري.[2]

التأليف في علم الوجوه والنظائر

- يُذكر أن أول من ألف في الوجوه والنظائر هو أَبُو الْحَسَنِ ، **مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**، المتوفى سنة 150 للهجرة، فله كتاب أسماهُ مُحقِّقُه، عبد الله شحاتة، ولم يكن من تسمية مُؤلِّفه، سمّى هذا الكتاب ***الأشباه والنظائر*** لمقاتل ابن سليمان. فهو يعتبر أقدم كتاب وقفنا عليه ووصلنا ونتداولُه في الأشباه والنظائر،
- ثم، **هارون ابن موسى**، المتوفى سنة 170 للهجرة، وألف كتابه أسماه ***الوجوه والنظائر***،

[2] https://vb.tafsir.net/tafsir3033/#.WeMB6GiCzIU

- ثم، **يحيى بن سَلّام**، المتوفى سنة 200 للهجرة، وألف كتابه المشهور ***التصاريف*** وهو كتاب في الوجوه والنظائر.

✓ علم أحكام القرآن الكريم

من المؤلفات أيضا المرتبطة بالتفسير والتي تعتني بجانب منه "علم أحكام القرآن الكريم" فإن التدوين في هذا العلم أيضا ظهر قديما. فما الذي نقصده بأحكام القرآن الكريم؟ نقصد به الآيات التي يَستدل بها الفقهاء على مسائل الأحكام التفصيلية ويَكثر ذِكرهم لها. وهذا التعريف هو تَوصيف في الحقيقة لمعنى آيات الأحكام؛ لأن آية الأحكام ليست منضبطة في عددها وذلك لأسباب:

- ما من آية في القرآن الكريم إلا وهي تتضمن حُكما وأحكام، فكل القرآن الكريم إنما هو عبارة عن حِكَم وأحكام.
- الأمر الآخر : أن ضابط ما يدخل في ضمن آيات الأحكام ويخرج منها مَردُّه للاجتهاد. فقد يجتهد إمامٌ من الأئمة فيضع لنا خمسمائة آية في الأحكام ويأتي آخر فيبلغ بها ثمانمائة آية، ويأتي آخر فيَقصُرها علںمائتين آية.

وهذا التنوع والاختلاف سببه أن الأمر كله مسألة اجتهادية، فأنا أجتهد فيما أُدخله ضمن آيات الأحكام أو ما أُخرجه منها. والغريب أن المذهب الفقهي الواحد لا يتفق على عدد واحد من آيات الأحكام، فقد يتفق على ذلك صورياً، لكن في التطبيق لا يتفقون على ذلك. فنجد مثلا المالكية وهم أكثر من ألّف في أحكام القرآن - أكثر المذاهب تأليفاً في أحكام القرآن الكريم المالكية فلهم أكثر من مائة كتاب في أحكام القرآن - من أشهر مؤلفاتهم " أحكام القرآن" لابن العربي المالكي. ابن العربي المالكي هو يقول في كتابه هذا أنه قد اعتمد على كتاب " أحكام القرآن " للقاضي اسماعيل، المتوفى سنة 282 للهجرة، ومع أنه يَعتَمد هذا الكتاب إلا أن العدد في آيات الأحكام بينهما مختلف، فبينهم ما يقرب من مائتي آية فارق - زيادة عند ابن العربي عن ما عند القاضي إسماعيل، مع أنهم في مذهب واحد، ومع أن ابن العربي أيضا يقول أنني قد اعتمدت كتاب القاضي اسماعيل، لكن اختلفوا في العدد.

مما يُشار إليه أن **التأليف في أحكام القرآن الكريم يغلب عليه الجانب المذهبي**، فأحد أسباب التأليف في أحكام القرآن هو توضيح المذهب وبيان وجه استدلاله بالآية الكريمة. لماذا المذهب يستدل بهذه الآية على قوله؛ أو الرد على المخالفين الذين يستدلون بآيات القرآن الكريم على مذهبهم. فهو إما أن يستدل بالآية على تقوية المذهب ويُبين وجه دلالة الآية على قولهم في مذهبهم، أو يجيب على استدلال غيره بالآية على ما ذهبوا إليه مخالفاً لمذهب المؤلف.

التأليف في علم أحكام القرآن:

اتخذ التأليف في أحكام القرآن طريقتان:

الطريقة الأولى: اتباع ترتيب المصحف من حيث السور والآيات؛ فيبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ويمر على الآيات بحسب ما فيها من الأحكام، ولا يتكلم إلا فقط عن آيات الأحكام؛ فيأخذ من سورة البقرة عدداً من

الآيات ومن سورة المائدة عدداً من الآيات، ومن سورة الإسراء مثلا عدداً من الآيات، وهكذا حتى يُنهي المصحف بحسب السورة وبحسب ما فيها، هذه طريقة، وكثير من التأليف على هذا النحو.

الطريقة الثانية: تعتمد على ترتيب الآيات وفق الأبواب الفقهية لا على حسب ترتيبها في المصحف: بمعنى أن يجمع كل الآيات المتعلقة بالطهارة في كتاب الطهارة، وكل الآيات المتعلقة بالصلاة في كتاب الصلاة، وكل الآيات المتعلقة بالزكاة في كتاب الزكاة، وهكذا حتى يُنهي جميع الآيات التي ستكون محل دراسته. هذه الطريقة الثانية.

- أول من نُقل عنه التأليف بهذه الطريقة هو **الإمام أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي** (الحنفي)، المتوفى سنة 321 من الهجرة، في كتابه ***أحكام القرآن***، فإنه بَوَّبه على أبواب الفقه.
- أما أول من ألّف في أحكام القرآن الكريم بشكل عام فيُذكر أنه أَبُو الْحَسَنِ ، **مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**، المتوفى سنة 150 للهجرة، يُذكر أنه ألف كتاباً في أحكام القرآن سماه ***تفسير خمسمائة آية من القرآن الكريم في الأمر والنهي والحلال والحرام*** وقد طُبع مُحَقَّقاً. وهذا حقيقةً يدلنا على أن مقاتل ابن سليمان من المؤلفين المتقدمين في التاريخ الإسلامي فهو متوفى سنة 150 للهجرة ومع ذلك ذكرنا له عدد من المؤلفات في التفسير؛ والتي تعتبر أصول وتعتبر من أوائل إن لم تكن أول ما أُلّف في أبوابها.
- أيضا ذَكر أهل التّراجم أن لـ**محمد بن السائب الكَلبي** - المتوفى سنة 146 للهجرة - له كتاب في أحكام القرآن لكن لم يصل.
- من المُدوَّنات المتقدمة في أحكام القرآن كتاب للإمام **أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ**، المتوفى سنة 204 للهجرة، فله كتابان أحدهما من جَمْع الإمام البيهقي، المتوفى سنة 458 للهجرة، والآخر من تأليف الشافعي نفسه، ولذلك أشار إليه في كتابه الرسالة في المسألة رقم (416)، أشار إلى كتابه في أحكام القرآن.
- أيضا، أبو الحسن علي بن حُجر السعدي، المتوفى سنة 244 للهجرة .
- للقاضي الإمام أبي إسحق إسماعيل بن إسحق الأزدي البصري، المتوفى سنة 282 للهجرة، كتاب كبير في أحكام القرآن ولكنه مفقود، ويقول عنه الخطيب البغدادي أنه لم يُؤلّف مثله في ضخامته ومَتانة مضمونه، بقي منه جزء أو عُثر على جزء يسيرٍ جدا منه وطُبع مُحَقَّقا؛ جزء يسير وله عدد من المختصرات من أشهرها " مختصر القاضي بكر بن علاء القشيري " وقد تمّ تحقيقه في رسالة علمية، وأرجو أن يظهر إن شاء الله قريبا مطبوعا.

ثم في المرحلة التالية لمرحلة التدوين ظهرت الكثير من المؤلفات في أحكام القرآن التي لا يسع المجال للحديث عنها.

نتوقف في هذه المحاضرة ونكمل إن شاء الله في المحاضرة القادمة بقية الكلام عن هذه المُدوَّنات.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**

قام بالمراجعة الأولى: **رغد**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به من مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، وقد ألجأ إلى إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها.



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة السادسة عشرة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. كنا في المحاضرة السابقة قد تكلمنا عن بعض العلوم المتعلقة والمرتبطة بالتفسير، وتاريخ التدوين فيها، مثل علم أحكام القرآن، وعلم الوجوه والنظائر، وعلم غريب القرآن، وعلم مشكل القرآن الكريم، فأشرنا إليها وإلى أوائل التأليف في تلك العلوم. وفي هذه المحاضرة إن شاء الله عز وجل نستكمل الحديث عن بعض هذه العلوم المرتبطة بعلم التفسير والخادمة له، ومن تلك العلوم أيضا:

✓ علم الناسخ والمنسوخ

- علم الناسخ والمنسوخ هو من العلوم الأساسية في علم التفسير الكريم، وفيه مؤلفات كثيرة جدًا عن تاريخ التدوين في علم التفسير من بدء ظهورها إلى عصرنا الحاضر تزيد عن المائة كتاب.
- والتأليف في هذا العلم كان قديمًا، ظهر في وقت متقدم مثل كتاب ***الناسخ والمنسوخ في كتاب الله*** المنسوب لـ **قَتَادَة بن دِعامة**، المتوفى سنة 118 للهجرة،
- أيضا **ابن شهاب الزهري**، المتوفى سنة 124 للهجرة، له كتاب ***الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم***.
- من بعد هذين العلَمين الإمامين تتابع التأليف في علم الناسخ والمنسوخ، حتى زادت مؤلفات فيه على المائة كتاب ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود.

الفرق بين المتقدمين والمتأخرين في مفهوم مصطلح "النسخ"

يجب أن ننبه على أمرٍ مهم ونحن نتكلم عن التأليف في علم الناسخ والمنسوخ، وهو **الاختلاف في اصطلاح النسخ ما بين السلف المتقدمين ومن جاء بعدهم من المتأخرين** بعد أن استقر مصطلح النسخ على ما يريده أهل الأصول، أصول الفقه، في كتب الأصول في حدود القرن الرابع الهجري:

- فالمتأخرون من أهل الأصول يقولون إن النسخ هو رَفع الحكم الشرعي كليا بحيث لا يُعمل به ولا يُعمل بجزء منه، هذا معنى النسخ عندهم.
- والمتقدمون من السلف، من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، كان مصطلح النسخ عندهم أعم من هذا، فيدخل فيه ما يسمى برفع النص كليًا بحيث لا يُعمل به أبدًا، أو الرفع الجزئي للنص بحيث يُعمل بجزء منه، ببعضه دون بعضه، ببعض دلالاته دون البعض. فالتخصيص مثلًا هو إبطال لجزء من دلالة العموم وليس

إبطالًا لكل العموم، كذلك التقييد هو إبطالٌ لجزءٍ من دلالة الإطلاق، كذلك تعيين المبهم وبيان المُجمل كلها تسمى عندهم نسخًا. وهذا التفريق مهم في معرفة طريقة السلف ومصطلحاتهم التي كانوا يستخدمونها في التعبير عن معنى رفع الحكم، سواءً كان رفعًا كليًا أو رفعًا جزئيًا.

✔ علم أسباب النزول

- علم أسباب النزول هو من العلوم المهمة المرتبطة بالتفسير، ذلك أن نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم كان مُفرَّقًا، وكان أكثره ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً بدون سبب خاص، وبدون حادثة، وبدون سؤال، وإنما ينزل هكذا ابتداءً من الله عز وجل، لكن بعضه كان ينزل بسبب حادثة وقعت، أو سؤال يُسألَه النبي صلى الله عليه وسلم.
- وقد اعتنى أهل العلم بأسباب النزول بشكلٍ كبيرٍ واهتموا بها؛ لأنها تعين على فهم المعنى، وهناك عدد من الآيات القرآنية الكريمة التي لا نستطيع فهم المعنى المقصود منها إلا من خلال معرفة سبب نزولها الذي احتفّ بها؛ ولهذا ظهر التأليف في أسباب النزول قديمًا.
- **ميمون بن مهران**، المتوفى سنة 117 للهجرة، ألّف كتابًا في أسباب النزول: ***تفصيل لأسباب التنزيل***.
- أيضا ينسب إلى **علي بن المديني**، المتوفى سنة 234 للهجرة، أنه ألّف كتاب: ***أسباب النزول*** .
- من أشهر المؤلفات في أسباب النزول وإن كان ليس من ضمن هذه المرحلة –أعني بها مرحلة عصر التدوين- كتاب: ***أسباب النزول*** للإمام **أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي**، المتوفى سنة 468 للهجرة، فهو يُعتبر أشهر كتاب في أسباب النزول.

وبَعْدُ أيها الأخوة، هذا عرضٌ مختصر لبعض العلوم المرتبطة بالتفسير، وبيان أوائل المدونات فيها؛ لأن كلامنا الحقيقة في هذه المرحلة هو عن **بداية التدوين في علم التفسير**، وذكرنا أن:

التدوين في علم التفسيرعلى ثلاثة أضرب:

1. **الضرب الأول**: أن يُؤَلَّف في التفسير استقلالًا ، لوحده، إما في كله أو في بعضه.
2. **الضرب الثاني**: أن يُؤَلَّف في علوم مرتبطة بالتفسير، كأسباب النزول، وكالناسخ والمنسوخ، وكالمشكل، وكغريب القرآن، وكمعاني القرآن، وكإعراب القرآن، وضربنا أمثلة على المؤلفات على هذا النحو في هذه الحلقة، في أول هذه الحلقة وفي الحلقتين الماضيتين.
3. **الضرب الثالث** من أضرب التأليف في التفسير في هذه المرحلة، مرحلة عصر التدوين، هي: أن يُؤَلِّف المؤلف كتابه فيضم فيه التفسير وغيره من العلوم الإسلامية؛ مثل التاريخ، مثل السيرة، مثل القصص، مثل الفقه،

مثل العقائد، وغير ذلك من أنواع فنون الشريعة المختلفة، مثل كتب الصحاح: كصحيح البخاري، صحيح مسلم مثلًا، مثل كتب السنن: كالسنن الأربعة المشهورة، مثل كتب المصنفات: كمصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، والمسانيد: كمسند الإمام أحمد، أو مسند إسحاق بن راهويه وغيره من المسانيد، أو مسند الشافعي. هذه كلها تضمنت أنواعًا متنوعة من علوم الشريعة، من ضمنها علم التفسير، فكثير من هذه المؤلفات تعقد فصلًا أو كتابًا في التفسير، وتعقد كتابًا في السيرة، وكتابًا في التاريخ، وكتابًا في المغازي، وكتابًا في الملاحم، وكتابًا مثلًا في الأحكام، وكلها ضمن كتاب واحد، فهي كتب موسوعية تحوي عددًا من علوم الشريعة من ضمنها علم التفسير، وقد ضربت أمثلة على هذه الكتب.

هذه المدونات التي أشرنا إليها في هذه الحلقة وفي الحلقة السابقة الحقيقة، وإن كانت مفقودة أو كثير منها مفقودة إلا أنها مبثوثة في كتب التفاسير التي تعتني بالرواية خصوصًا، مثل تفسير الطبري، مثل تفسير ابن أبي حاتم، مثل تفسير الصنعاني، ونحوهم ممن اعتنى بحفظ آثار السلف المتقدمين، فهي مبثوثة في كتب التفسير ولا سيما الكتب التي تعتني بالرواية عن السلف.

تلخيصا لما سبق نعيد فنقول: أن التدوين والتأليف في علم التفسير في هذه المرحلة، في مرحلة عصر التدوين، كان على ثلاثة أضرب:

1. أن يؤلف في التفسير استقلالًا عن غيره.
2. أن يؤلف في علوم متعلقة ومرتبطة بالتفسير مباشرةً؛ كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.
3. أن يؤلف في كتبٍ موسوعية تتضمن التفسير وغيره من علوم الشريعة.

✔ أبرز السمات التي تميزت بها مرحلة عصر التدوين

نختم الكلام عن هذه المرحلة بذكر أبرز السمات التي تميزت بها مرحلة عصر التدوين:

1. أول هذه السمات: **أن الإسناد ظل باقيًا حتى مع وجود التدوين**، نعم المشافهة قد تكون بدأت تنحسر بسبب ظهور التدوين والتأليف؛ بحيث أصبح الرجل يروي ويتكلم ويتحدث من كتابه لا من مجرد روايته ومشافهته، لكن الذي بقي الإسناد؛ يروي من كتابه لكنه مسندًا، الإسناد ظل باقيًا حتى مع وجود التدوين؛ لهذا كانت تلك المدونات في تلك المرحلة تكتب بالإسناد، تكتب مسندة؛ فيقول صاحب الكتاب: حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن ابن عباس -رضي الله عنه- أو عن الزهري، أو عن مُجاهد، أو عن غيره، يذكرها مُسنَدةً.
2. السمة الثانية: **أن غالب المدونات في التفسير لم تتضمن تفسيرًا كاملًا للقرآن الكريم** ليشمل كل آياته، وإنما المنقول في غالبه في التفسير هو تفسيرٌ لبعض آيات القرآن الكريم تقل وتكثر، بعضهم يكثر وبعضهم يقل. نعم، وُجد تفسير كامل بحسب ترتيب سور القرآن الكريم وبحسب ترتيب آياته ولكنها كانت قليلة، السمة

العامة في المدونات التفسيرية بحسب تلك المرحلة أنها تنتقي بعض الآيات من بعض السور، وهذا الحقيقة في جزء منه يعود إلى طبيعة التأليف في تلك المرحلة، المرتبط بحاجة الناس، فكان الناس ما زال العربية عندهم قوية، وقربهم من أهل اللسان، وقربهم من زمان اللسان السليم الذي لا شائبة فيه لا زال موجودًا، وهذا يورث فيهم الفصاحة؛ بحيث إن ما يحتاجون إليه من البيان والتوضيح ليس كبيرًا.

3. من السمات: **أن كثيرًا من المدونات والمؤلفات في تلك المرحلة كانت موسوعية**، تجمع علوم الشريعة كلها بدون تفريق، فتجد فيها بابًا للعقائد، وبابًا للفقه، وبابًا لأحاديث الأحكام، وبابًا للسيرة، وبابًا للقصص، وبابًا للتفسير.. وهكذا، وكلها في كتاب واحد موسوعي، ومع هذه الطريقة التي هي سمة كبيرة جدًا في التأليف في تلك المرحلة، فأيضًا هناك الكتب المستقلة سواء في التفسير استقلالا أو في العلوم الخادمة للتفسير، كأسباب النزول، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، كما مر معنا في المحاضرتين السابقتين.

✓ مناقشة مسألة ارتباط التدوين في علم التفسير بالتدوين في علم الحديث ابتداءً

كلامنا عن المؤلفات الموسوعية التي كانت تحوي علومًا متنوعة من علوم الشريعة، يقودنا إلى مسألة يكثر الحديث عنها وذكرها فيمن يكتبون في تاريخ علم التفسير وفي تاريخ التدوين في علوم الشريعة بصفة عامة، وفي علم التفسير بصفة خاصة، ولعلنا نختم بها الحديث عن مرحلة عصر التدوين، وهي مسألة **ارتباط التدوين في التفسير بعلم الحديث**.

قد يكون أول من أشار إلى ذلك الأستاذ **أحمد أمين**، ثم تبعه بعد ذلك الدكتور **حسين الذهبي**، حيث يقولان: إن **التفسير بدأ مرتبطًا بعلم الحديث ثم استقل عنه بعد ذلك**، وهذه الفكرة تلقفها عنهما، خصوصًا عن الذهبي، كثير من الباحثين المعاصرين، فأصبحت تشاع وتردد دون تدقيق أو نظر فيها، والحقيقة **هذه المقولة محل نظر**؛ لأن مبناها أصلًا -مبنى هذه الفكرة- على أن التدوين كان ابتداءً في علم الحديث، ثم بعد ذلك استقل عنه علم التفسير، وعلم العقيدة، ونحو ذلك، فهي مبنية على هذا الأساس أن علم الحديث هو الأساس الذي بدأ التأليف فيه، **وهذا الكلام خلاف الواقع لعدة أمور منها:**

1. **هذا التفريق بين علوم الشريعة وجعلها علومًا مستقلة بعضها عن بعض هو تفريقٌ حادث متأخر**، لم يكن معروفًا عند الأولين، إنما عُرف عند المتأخرين، فعلماء السلف أصلًا كانوا علماء موسوعيين، فقد يكون لأحدهم درس في التفسير، ودرس في العقيدة ، ودرس في الحديث، ودرس في الفقه، ولم يكن أحدهم يتخصص في علمٍ دون الآخر، بل كانوا مرجعًا للعلوم كلها.

ولنأخذ ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- كمثال: فإذا قلنا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو مرجع العلوم كلها، نجد أحد صحابته كابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- هو إمام الدنيا في التفسير، وإمام الدنيا في الفقه، وإمام الدنيا في التاريخ والمغازي، وإمام الدنيا في لغة العرب، فهل نستطيع أن نفرق بين أي هذه العلوم كلها التي تكلم عنها ابن عباس كانت أسبق من الآخر؟ لا، هي كلها علوم واحدة تخرج من عالمٍ واحد، ويتكلم بها عالم واحد. نعم، قد يبرز عالمٍ في فنٍ من الفنون دون فن آخر، فيكون إمامًا مثلًا في التفسير، أو إمامًا في الفقه، لكنه في النهاية كل هذه العلوم التي يمتلكها ونبغ فيها هي بالنسبة له بناء علمي متكامل، والتفريق بين تلك العلوم أمرٌ صعب، وأصعب منه تحديد أولها ظهورًا.

2. **المقطوع به أن علم التفسير ارتبط بأول نزول القرآن الكريم**[3]، هذا لا شك فيه، ولا يختلف فيه أحد، أن التفسير بدأ مع نزول أول آية من القرآن الكريم، ونحن نعلم أن القرآن الكريم هو أساس انطلاق التاريخ الحضاري لعلوم المسلمين، فالقرآن هو أساس هذا التاريخ، ونشأته تابعة لنزول القرآن الكريم؛ ولهذا نجد أن ما حفظه لنا أصحاب المدونات في تاريخ العلوم، وتراجم العلماء، تشير إلى تقدم التدوين في علم التفسير على سائر العلوم. وقد ضربنا في المحاضرات السابقة، لما تكلمنا عن مرحلة النشأة والظهور ومرحلة التدوين لتاريخ التفسير، ضربنا أمثلة على كمٍ هائلٍ من المدونات في التفسير، وفي علومه التي أُلِّفت في التفسير استقلالًا، أو في علومٍ خادمةٍ له استقلالًا، مثل **تفسير مجاهد**، ومثل **تفسير سعيد بن جبير**، هؤلاء كانوا قبل المائة الأولى للهجرة، وهذا يدلك على تقدم التأليف في علم التفسير على سائر العلوم.

ثم قارن ذلك مثلًا ببداية التدوين في علم الحديث، والذي كما يذكر **ابن حجر العسقلاني** في مقدمة ***فتح الْبَارِي شرح صَحِيح البُخَارِيّ***، أنه ابتدأ على يد **الربيع بن صُبيح**، وهو متوفى سنة 160 للهجرة، حيث قال ابن حجر في مقدمة كتابه فِي بَيَان السَّبَب الْبَاعِث لأبي عبد الله البُخَارِيّ على تصنيف جَامعه الصَّحِيح وَبَيَان حسن نِيَّته فِي ذَلِك، قال: " أعلم عَلمنِي الله وَإِيَّاك أَن آثَار النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَكُنْ فِي عصر أَصْحَابه وكبار تَبِعَهُمْ مدونة فِي الْجَوَامِع وَلَا مرتبَة لأمرين أَحدهمَا إِنَّهُم كَانُوا فِي ابْتِدَاء الْحَال قد نهوا عَن ذَلِك كَمَا ثَبت فِي صَحِيح مُسلم خشيَة أَن يخْتَلط بعض ذَلِك بِالْقُرْآنِ الْعَظِيم وَثَانِيهمَا لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم وَلِأَن أَكْثَرهم كَانُوا لَا يعْرفُونَ الْكِتَابَة ثمَّ حدث فِي أَوَاخِر عصر التَّابِعين تدوين الْآثَار وتبويب الْأَخْبَار لما انْتَشَر الْعلمَاء فِي الْأَمْصَار وَكثر الابتداع من الْخَوَارِج وَالرَّوَافِض ومنكرى الأقدار، فَأول من جمع ذَلِك الرّبيع بن صبيح، وَسَعِيد بن أبي عرُوبَة ، وَغَيرهمَا، وَكَانُوا يصنفون كل بَاب على حِدة إِلَى أَن قَامَ كبار أهل الطَّبَقَة الثَّالِثَة فدونوا الْأَحْكَام فصنف الإِمَام مَالك الْمُوَطَّأ وتوخى فِيهِ الْقوي من حَدِيث أهل الْحجاز ومزجه بأقوال الصَّحَابَة وفتاوى

[3] تم إعادة صياغة هذه النقطة من المحاضرة بالكامل بعد الاستعانة بكتاب ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، لابن حجر العسقلاني.

التَّابِعين وَمن بعدهمْ وصنف أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ جُرَيْجٍ بِمَكَّة وَأَبُو عمر وَعبد الرَّحْمَن بن عمر وَالْأَوْزَاعِيّ بِالشَّام وَأَبُو عبد الله سُفْيَان بن سعيد الثَّوْريّ بِالْكُوفَةِ وَأَبُو سَلمَة حَمَّاد بن سَلمَة بن دِينَار بِالْبَصْرَةِ ثمَّ تلاهم كثير من أهل عصرهم فِي النسج على منوالهم إِلَى أَن رأى بعض الْأَئِمَّة مِنْهُم أَن يفرد حَدِيث النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم خَاصَّة وَذَلِكَ على رَأس الْمِائَتَيْنِ فصنف عبيد الله بن مُوسَى الْعَبْسِي الْكُوفِي مُسْندًا وصنف مُسَدّد بن مسرهد الْبَصْرِيّ مُسْندًا وصنف أَسد بن مُوسَى الْأمَوِي مُسْندًا وصنف نعيم بن حَمَّاد الْخُزَاعِيّ نزيل مصر مُسْندًا ثمَّ اقتفى الْأَئِمَّة بعد ذَلِك اثرهم فَقل إِمَام من الْحفاظ الا وصنف حَدِيثه على المسانيد كالامام أَحْمد بن حَنْبَل وَإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وَعُثْمَان بن أبي شيبَة وَغَيرهم من النبلاء وَمِنْهُم من صنف على الْأَبْوَاب وعَلى المسانيد مَعًا كَأبي بكر بن أبي شيبَة فَلَمَّا رَأْي البُخَارِيّ رَضِي الله عَنهُ هَذِه التصانيف وَرَوَاهَا وانتشق رياها واستجلى محياها وجدهَا بِحَسب الْوَضع جَامِعَة بَين مَا يدْخل تَحت التَّصْحِيح والتحسين وَالْكثير مِنْهَا يَشْمَلهُ التَّضْعِيف فَلَا يُقَال لغثه سمين فحرك همته لجمع الحَدِيث الصَّحِيح الَّذِي لَا يرتاب فِيهِ أَمِين وقوى عزمه على ذَلِك مَا سَمعه من أستاذه أَمِير الْمُؤمنِينَ فِي الحَدِيث وَالْفِقْه إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم الْحَنْظَلِي الْمَعْرُوف بِابْن رَاهَوَيْه" انتهى كلامه.

هذا وقد أشار أيضا **ابن حجر العسقلاني** في ***فتح الْبَارِي شرح صَحِيح البُخَارِيّ***، في الجزء الأول، كتاب العِلم، باب كيف يُقبض العلم، حيث قال: "وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ ، انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاكْتُبْهُ ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا"

وهذا يدل أن بدايات تدوين الحديث النبوي الشريف كانت صنيع **عمر بن عبد العزيز**، المتوفى سنة 101 للهجرة عندما كتب عمر إلى الإمام أبي بكر بن حزم، وهو أمير المدينة وأعلم أهل زمانه بالقضاء، يأمره بذلك، وتوفي عمر بن عبد العزيز قبل فراغ الإمام بن حزم منه، مع أن هذا كان تدويناً لعلوم الشريعة كلها وليس لعلم الحديث، والمؤرخون في تاريخ علوم الشريعة يجعلونه منطَلَقًا لعصر التدوين. إذن، بالنظر إلى التدوين في علم التفسير سنجد أنه سابق لهذا الصنيع من عمر بن عبد العزيز، والشاهد على ذلك هو المؤلفات في علم التفسير بصورة مستقلة مثل **تفسير مجاهد**، و**تفسير سعيد بن جبير**.

هذا وإذا نظرنا إلى تفسير **مقاتل بن سليمان** ،المتوفى سنة 150 للهجرة، نجد أن تفسير مقاتل بن سليمان يعتبر قد وصل إلى مرحلة ناضجة في التأليف في علم التفسير، ولا يمكن أن يكون مقاتل بن سليمان هو الذي ابتدأ هذه المرحلة، بل لا بد أن يكون هناك تأليف سابق له، لأن هذا شيء طبيعي يعني هذا أمر طبيعي ومنطقي، لا يمكن أن يصل الإنسان في التأليف إلى نضجٍ مباشرةً من أول تأليفٍ في علم، بل ينضج العلم

وينضج المؤلفون فيه فترة بعد فترة ومرحلة بعد مرحلة، فطريقة مقاتل طريقة متقدمة وناضجة في التأليف في علم التفسير، هي لم يخرج عنها المفسرون بعد ذلك، فلا يمكن أن يكون وصل إليها إلا وقد سبقه محاولات لغيره ممن سبقه من أهل العلم، مع أنه متوفى سنة 150 للهجرة.

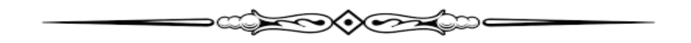
3. **منشأ هذا الزعم، بأسبقية التأليف في علم الحديث عن علم التفسير، هو ارتباط مفهوم الإسناد والرواية بعلم الحديث في عصرنا الحاضر**، ففي عصرنا الحاضر ارتبط التأليف أو الإسناد والرواية بعلم الحديث؛ فأصبح كل شيء له رواية وكل شيء مسند هو من علم الحديث، ونحن الحقيقة بهذه الطريقة نحاكم عصورًا متقدمة على طريقتنا نحن، وعلى اصطلاحاتنا نحن التي استقرت عندنا، لكننا لو رجعنا إلى تاريخ العلوم الإسلامية عمومًا، لوجدنا كما تقدم معنا في المحاضرات السابقة أن أساسها هو الرواية والمشافهة والإسناد، كل علوم الشريعة، لا يوجد شيء من علوم الشريعة في بدء الظهور إلا كان برواية وإسناد، بالمشافهة والإسناد، فأي شيء حتى القصص والتاريخ كانا بالإسناد، بل أكثر من هذا، حتى أخبار الطرائف وأخبار الحمقى والمغفلين تروى أيضًا بالإسناد، لماذا؟ لأن الإسناد هو كان وسيلة نقل العلوم وتبادلها، فلم يكن خاصًا بعلم الحديث، بل كل علوم الشريعة كانت تنقل بطريق الإسناد.

ولهذا يقول الخطيب البغدادي معلقا على الإسناد في بعض الأخبار التي لا أثر لها على الأحكام يقول: "وأما أخبار الصالحين وحكايات الزهاد والمتعبدين ومواعظ البلغاء وحِكَم الأدباء، فالأسانيد زينة لها وليست شرطا في تأديتها"، ومقصودي من هذا النقل، هو الإشارة إلى أن الإسناد كان أداة نقل العلوم والمعارف كلها في مراحل متقدمة من تاريخ المسلمين، عند أول ظهور الحضارة الإسلامية.

بهذا نكون قد أنهينا الكلام عن مرحلة مهمة من تاريخ نشأة علم التفسير وتطوره، وهي مرحلة عصر التدوين.
هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**
قام بالمراجعة الأولى: **أحمد عبد الرحمن**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليشمل ما قمتُ به باجتهادي الشخصي في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، ووضع العناوين الرئيسية لموضوعات المحاضرة، هذا وقد أضيف بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، بالإضافة إلى مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم.



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة السابعة عشرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وبعد: كنا أيها الأخوة الكرام قد تكلمنا في الحلقات الماضية عن المرحلة الثانية من مراحل نشأة علم التفسير، وتاريخ تطوره، وانتهى بنا الحديث إلى الكلام عن **المرحلة الثالثة من مراحل نشأة هذا العلم وتطوره**، وهذه المرحلة يمكن أن تسمى بـ **مرحلة التطور والازدهار**، أو ممكن أن يقال أيضا أنها العصر الذهبي لعلم التفسير. هذا وقد سبق أن قسمنا مراحل تطور تاريخ التفسير إلى:

1. المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والظهور
2. المرحلة الثانية: مرحلة التفسير في عصور التدوين
3. المرحلة الثالثة: مرحلة التطور والازدهار

انتهينا من الحديث عن المرحلتين الأولى والثانية، واليوم بإذن الله تعالى نتكلم عن المرحلة الثالثة.

مرحلة التطور والازدهار

تبدأ هذه المرحلة من القرن الرابع الهجري وتستمر حتى نهاية القرن الثامن الهجري، وقد شهدت هذه المرحلة ازدهارًا كبيرًا في علم التفسير والتدوين فيه، بل يمكن اعتبار هذه المرحلة هي العصر الذهبي لكثيرٍ من العلوم الإسلامية، ليس فقط التفسير، ويرجع ذلك لجملة من الأسباب، أهمها:

1. **الفتوحات الإسلامية** التي انطلقت إلى مشارق الأرض ومغاربها، هذه الفتوحات الإسلامية كان لها تأثيرا كبيرا جدا في الحركة العلمية للعلوم الإسلامية، حيث أدت إلى تلاقي حضاري مع مختلف الحضارات في شرق الأرض، وفي غربها، وفي شمالها، وفي جنوبها، فانفتحت العلوم الإسلامية على كثيرٍ من الحضارات المتنوعة الضاربة في التاريخ، ولا شك أن هذا الانفتاح الحضاري على تلك الشعوب والأمم أعطى ثروة علمية ضخمة للعلوم الإسلامية.
2. **الاستقرار السياسي في العالم الإسلامي**، فهذا الاستقرار السياسي جعل الناس ينصرفون إلى مختلف العلوم ويشتغلون بها.
3. **الانتعاش الاقتصادي** حيث وفرة المال وكثرته، ويتعلق بهذا أن الأمراء والخلفاء بل حتى الوجهاء وذوو اليسار والمال كانوا يتنافسون على العلم، وعلى تشجيع العلماء ودعمهم، ولذلك كثيرًا ما كان العلماء يؤلفون الكتاب لخليفة من الخلفاء، أو أمير من الأمراء، أو وجيه من الوجهاء، وينالون على ذلك الجوائز العظيمة.

هذه الأسباب وغيرها جعلت تلك المرحلة هي مرحلة ذهبية لما شهده هذا العصر من ازدهارٍ وتطورٍ للعلوم الإسلامية بشتى أنواعها، والتفسير على وجه الخصوص.

✓ سمات تطور علم التفسير في مرحلة الازدهار

ما الذي تميزت به هذه المرحلة بالنسبة لعلم التفسير عن المراحل التي سبقتها؟ يمكن أن نذكر عددا من النقاط التي تعتبر سمات بارزة لعلم التفسير في هذه المرحلة:

1. **ظهور المدونات والمؤلفات في التفسير كاملا**، يمكن ان نقول انه لم تكن هناك سمةً للتفسير في المراحل السابقة لهذه المرحلة، ففي هذه المرحلة ظهرت المدونات التفسيرية التي تفسر القرآن كاملًا، من أوله إلى آخره، تبدأ بسور القرآن سورةً سورة، وآيةً آية، وأقول أنها سمة لأنها كثرت وتنوعت في هذه المرحلة تنوعا غير مسبوق، ويأتي في مقدمتهم وعلى رأسهم شيخ المفسرين وإمامهم: ابن جرير الطبري، ولعلنا إن شاء الله عز وجل نتحدث عنه باختصار في الحلقات القادمة.
2. من سمات التفسير في هذه المرحلة: **حذف الإسناد:** وقد تكلمنا في مرحلة النشأة والظهور، وفي مرحلة التدوين، أن الإسناد ظل باقيا فيها، فهو الأداة الأساسية لتناقل العلم، أما في هذه المرحلة فقد ظهر حذف الإسناد، بحيث كانت المؤلفات في التفسير، وكثيرا من العلوم غيره، يحذف منها الإسناد، حتى صار سمةً غالبة للمؤلفات في هذه المرحلة. رتَّب فضيلة الدكتور **مساعد الطيار** الفترات الزمنية التي تم فيها حذف الإسناد في كتب المفسرين على هذا النحو:
   * أول من بدأ به هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، المتوفي سنة 127 هـ ،
   * ثم، مقاتل ابن سليمان،المتوفى سنة 150 هـ،
   * ثم، يحيى ابن سلام البصري المتوفى سنة 200 هـ،
   * ثم ابن أبي حاتم المتوفى سنة 327 هـ،
   * ثم الثعلبي المتوفى سنة 427 هـ.

وهذه محاولة لمعرفة التسلسل الزمني لحذف الإسناد في علم التفسير، لكن **من الصعب أن نحدد أول من حذف الإسناد في علم التفسير**؛ لأن كثيرا من كتب السلف مفقودة أصلًا، وليست موجودة بأيدينا حتى نتعرف على مناهجها ومناهج المؤلفين فيها وبالتالي نستطيع الحكم على مسألة حذف الإسناد. لماذا؟ لأن بعضهم قد يؤلف كتابا يُنسب إليه هو، مع أنه ليس له فيه إلا الرواية مثلا، وعلى النقيض من ذلك قد يؤلف هو كتابًا في التفسير يذكر فيه أقواله هو وآراءه في التفسير فهو لم يرد الرواية أصلا، ما أراد أن يروي عن غيره حتى نلزمه و نطالبه بالإسناد؛ بل أراد تفسير القرآن و توضيحه بقوله هو ورأيه هو، مثل: مقاتل بن سليمان

أراد أن يفسر القرآن برأيه وقوله هو فلا يرد في الذهن أن يطالب بالإسناد لأنه لم ينقل عن غيره، ولا نطالبه بالإسناد إلا إذا نسب القول إلى معين، عندئذ نسأله عن الإسناد ولهذا يعسر علينا أن نعين أول من حذف الإسناد من السلف.

وجود الإسناد في علوم الشريعة كان يمنع كثيرا من محاولات الكذبً ودخول الدسائس في الروايات التي يتناقلها أهل العلم، لكن أهل العلم في هذه المرحلة أرادوا حذف الإسناد طلبا للاختصار، وتسهيلا على الناس لضعف همة الناس، على ما ذكروا، وكذلك حتى يكون حذف الإسناد سببًا للتوسع في الكلام عن المعاني في كلام الله عز وجل. وهذه الأسباب - وإن كانت معقولة مقبولة - إلا أنها فتحت باباً لأهل الزيغ والضلال أن يدسوا دسائسهم في تفسير كلام الله عز وجل لأنه لم يعد يستطيع أحد أن يعرف هذا القول الذي ينسبه ذلك العالم أو ذلك المفسر أو ذلك القائل عن ابن عباس مثلا، لا نعرف كيف نسبه له، أو كيف تلقاه عنه، لأنه قد حذف الإسناد الذي يربط بينه وبين ابن عباس، أو بينه وبين مجاهد، ففتح بابًا لمن أراد أن يكذب أو يدس في تفسير كلام الله عز وجل وينسب للسلف ما لم يكن قولا لهم. يزيد الأمر أيضًا خطورة أن بعض المؤلفين كان مولعا بجمع الأقوال حتى الأقوال الشاذة، حتى الأقوال التي لا يعرف قائلها فيجمعها في تفسيره، فيأتي من بعده ثقةً به ولأنه كان إمامًا، فيظن أن هذا القول الذي ذكره قولا معتبرًا وله فيه سلف، مع أنه قول قد لا يعرف قائله، وأحد الأسباب التي أدت إلى ذلك حذف الإسناد.

وهنا يجب علينا أيضًا أن لا نفهم من هذا القول أننا نقلل الثقة في شأن الأقوال المروية عن السلف أو المنسوبة إلى السلف، وقد تكلمنا بكلام طويل في محاضرات ماضية عن مسألة قيمة المروي عن السلف، وكيف يكون التعامل مع المرويات في التفسير.

3. من السمات البارزة في هذه المرحلة: **ظهور العلوم المرتبطة بالتفسير**، فبالإضافة إلى ظهور المؤلفات في التفسير، كثرت أيضا المؤلفات في العلوم المرتبطة به كالناسخ و المنسوخ، كالمحكم و المتشابه، هناك عدد من المؤلفات في هذه العلوم وهي مما يخدم تفسير كلام الله عز وجل.

4. من أبرز السمات، إن لم تكن أبرزها بإطلاق، هي **التوسع العظيم في تفسيركلام الله عزوجل**، والكلام عن آياته، وتفريع المسائل، وتشقيقها في مسائل متنوعة من البحث والنظر، حتى خرجت علينا موسوعات علمية ضخمة في تفسير كلام الله، تتشعب في موضوعاتها، تتشعب في مسائلها، تتشعب في نظرها، وفي الحق هذه أبرز سمة لهذه المرحلة، فقد شهدت توسعًا عظيمًا في تفسير كلام الله، وفي المسائل المرتبطة به، والبحوث المتصلة به.

5. من سمات هذه المرحلة، ولعلنا نختم الكلام بها، هي **ظهور أثر التكوين العلمي وشخصية المفسر على تفسيره**، حيث تأثر كل إمام وكل عالم وكل مفسر بما برع فيه من العلوم وأتقنه، فأنت تجد مثلا الفقيه العالم بمسائله يتوسع في مسائله، يشقق الكلام، العالم في النحو أيضًا يتوسع في الكلام عن النحو و هو يفسر كلام الله عز وجل، أيضا العالم بالجدل و مسائل الكلام يتوسع في الكلام عن المسائل العقلية و تشقيق الكلام فيها، صاحب التاريخ أيضا يتوسع في سرد القصص والأخبار وروايات من سلف، ما صح منها وما لم يصح، أصحاب التصوف والرياضات الروحية أيضا قصدوا إلى ناحية الترغيب والترهيب، واستخراج المعاني الإشارية من القرآن الكريم بما يتفق مع مشاربهم ويتناسب مع موجوداتهم، وهكذا فسر كل صاحب فن يتقنه القرآن الكريم متأثرًا بفنه حتى غلب هذا الفن على تفسير كلام الله عز وجل واصطبغ كتابه وتفسيره بصبغته، حتى أصحاب العقائد و الاتجاهات الفكرية أيضا أثرت تلك الاتجاهات عليهم؛ فالمعتزلي يدس اعتزاله في تفسير كلام الله، وأصحاب الفكر الخارجي مثلا يفعلون ذلك، فأصبح كل انتماءٍ، سواءً كان عقديًا أو فقهيًا يؤثر على المفسر وهو يتناول كلام الله عز وجل بالتفسير..

سنذكر بعضا من هذه التفاسير التي تعكس صورة مرحلة التطور والازدهار، أو العصر الذهبي، هذه المرحلة والتي تعتبر مرحلة مميزة في تاريخ علم التفسير. ومن نافلة القول أن نقول أننا لا نريد التفصيل في ذكر هذه الكتب، والتعريف بها وذكر مناهجها، فذلك بابٌ آخر له مقرره المستقل؛ الذي أرجو أن تدرسوه في مقرر مستقل يحمل عنوانه؛ ولكن أنا سأذكر بعض العناوين المهمة من التفاسير التي أُلِفَت في هذه المرحلة حتى تربط أذهانكم بتلك الكتب وتعرفون في أي مرحلة أُلِّفت، وأيضًا نريد أن نوصل لكم طبيعة التأليف في تلك المرحلة.

✓ أهم كتب التفسير في هذه المرحلة

1. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري[4]

أول المصادر في تلك المرحلة ويأتي في مقدِّمها وأمامها: ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن*** المعروف بـ***تفسير الطبري***، الذي ألفه الإمام أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري في أواخر القرن الثالث الهجري، وصاحبه توفي في أوائل القرن الرابع الهجري سنة 310 هـ.

كان الإمام الطبري أحد الأئمة الأعلام، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، كان حجةً، حافظًا، بصيرًا بالمعاني، عالمًا بآثار السلف، عالمًا بالسنة، عالمًا بأحكام القرآن وقراءاته، بصيرًا بأقوال الصحابة والتابعين، عالمًا بأيام الناس وسِيَرِهم وأخبارهم، حتى بلغ مرتبة الاجتهاد، فيقول ابن خلكان: إنه من الأئمة المجتهدين، لم يقلد

[4] تم الاستعانة في كتابة هذا الجزء من المحاضرة بكتاب "التفسير والمفسرون"، الدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 147- 149

أحداً، ونُقِل أن الشيخ أبا اسحاق الشيرازي ذكره في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين؛ بل قالوا أن له مذهب معروف وأصحاب ينتحلون مذهبه وله أتباع إلا أن هذا المذهب لم يستطع البقاء إلى يومنا هذا كغيره من مذاهب المسلمين.

وقد أثنى الكثير من العلماء عليه، واعتُبر أباً للتفسير، فقال عنه السيوطي في طبقات المفسرين: "رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم".

وقد برع الطبري في علوم كثيرة، منها: علم القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وقد صنَّف في علوم كثيرة وأبدع التأليف وأجاد فيما صنَّف، فكل مصنَّف يؤلفه يعد بمثابة المرجع الأساس لمن جاء بعده، فمن مؤلفاته في التاريخ كتاب: ***تاريخ الأمم والملوك***، أو ***تأريخ الرسل والملوك***، والمعروف بـ***تاريخ الطبري***، ويتناول فيه الأخبار التاريخية بالتسلسل من أخبار آدم -عليه السلام- إلى أخبار عصره، وله كتاب: ***تهذيب الآثار***، وهو كتاب من كتب الحديث، وله كتاب: ***التبصير في معالم الدين*** أو ***تبصير أولي النهى ومعالم الهدى***، وهو كتاب في العقيدة الإسلامية وبيان شيء من أصولها، وغيره من المؤلفات. وأهم ما ألف هو: ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، المعروف بـ***تفسير الطبري***.

يكفي في ذلك شهادة الإمام النووي لذلك التفسير بقوله: "أجمعت الأمة على أنه لم يُصَنَّف مثل تفسير الطبري"، وهذه مفخرة حقيقة لهذا التفسير، ولا شك أن هذا الإجماع لا زال مستمرا منعقدًا على أنه لم يؤلف مثل تفسير الطبري، فهو تفسير موسوعي مؤلفه عالم مجتهد، بحر، محقق، مدقق، بل تفسيره حقيقة مأثرة من مآثر هذه الأمة، لا غنى لمشتغل بالتفسير عنه، ويكفي فقط أنه حفظ لنا أقوال السلف من الصحابة والتابعين في بيان كلام الله عز وجل، وفضلا عن هذا، فهناك جودة النظر ودقة البصر بالمعاني، وتحقيق القول وبيان الراجح بدليله على نحو ومنهج قلَّ مثيله.

2. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

من الكتب الأساس في هذه المرحلة كتاب: ***الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، ألفه جار الله، أبو القاسم، **محمود بن عمر الزمخشري** المتوفى سنة 538 للهجرة.

الزمخشري كان إمامًا بارعًا في اللغة والأدب، بل كان إمام عصره في علم البلاغة والأدب، وكان عالمًا بأيام العرب وأنسابهم، يقول عنه السمعاني: "برع في الآداب، وصنف التصانيف، وَرَدَ العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا

واجتمعوا عليه، وتتلمذوا له، وكان علامة نسابة". له عدة مصنفات مشهورة ومتداولة بين أهل العلم منها كتاب: ***الفائق في غريب الحديث***، و منها كتاب: ***أساس البلاغة***، وهو كتاب في البلاغة، ومنها أيضا ***المفصل في صنعة الإعراب***، وهو كتاب في النحو، ويأتي في مقدمها وعلى رأسها تفسيره الذي نحن بصدده، ***الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، المعروف بالكشاف، وهو الحقيقة أحد المصادر التي لا غنى عنها لأي مشتغل بكلام الله تعالى، ومهتم ببيان بلاغة القرآن الكريم ووجوه إعجازه؛ بل من جاء بعد الزمخشري من المفسرين اعتمد عليه، فهم عيال عليه، بعضهم يأتي فيوضح الكلام الذي ذكره، أو يبني عليه. فالحقيقة أن تفسيره من حيث بيان بلاغة القرآن الكريم يعتبر مصدرًا أساسا في ذلك، غير أنه، عفا الله عنه، كان مع مذهبه الاعتزالي، كان سيء الكلام على المخالفين له خصوصا من أهل السنة، وكان لا يدع مناسبةً يستدل بها على مذهبه إلا وذكرها، ولا مناسبة يطعن فيها على أهل السنة إلا وذكره، بل إنه ليذكر وجوها دقيقة في الاستدلال على مذهبه قد لا يتبينها حتى بعض طلاب العلم، كما نبه على ذلك أهل العلم.

3. المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز المعروف بتفسير ابن عطية

أيضا من التفاسير المشهورة في هذه المرحلة: المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز، لابن عطية. ولعلنا أن شاء الله نرجئ الكلام عن هذا الكتاب للمحاضرة القادمة. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم، على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **غادة علاء الدين محمود**

قام بالمراجعة الأولى: **أخت في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، ومن مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، بالإضافة إلى نقل أقوال العلماء بالنص من مصادرها المنشورة.

حاولت باجتهاد متواضع أن ألقي الضوء على كل تفسير من التفاسير المشار إليها في هذه المحاضرة وذلك بالاستعانة بكتاب ***التفسير والمفسرون***، للدكتور محمد حسين الذهبي، ومصادر أخرى تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثامنة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد،

كنا في المحاضرة الماضية، بدأنا الكلام عن مرحلة **التطور والازدهار** أو **العصر الذهبي لتاريخ التفسير**، وأشرنا إلى أبرز سمات تلك المرحلة ومميزاتها، وابتدأنا الكلام عن بعض المؤلفات في تلك المرحلة التي تُعرِّف بهذه المرحلة وبطبيعتها وبخصائصها، وأشرنا في تلك المرحلة إلى تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير الزمخشري، وتوقفنا عند الإشارة إلى ثالث التفاسير المشهورة في هذه المرحلة وهو: ***المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز***، لابن عطية الأندلسي.

✓ تابع: أهم كتب التفسير في مرحلة التطور والازدهار

3. "المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز" المعروف بتفسير ابن عطية الأندلسي

ألَّفه الإمام الفقيه البارع القاضي، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية بن مكرم المحاربي الأندلسي، الغرناطي المالكي، وشهرته: **ابن عطية الاندلسي** المغربي، المتوفى سنة 546 هـ (اختلف المؤرخون في السنة التي توفي فيها فقيل: توفي بمدينة لُورَقَة سنة 541هـ، وقيل: سنة 542هـ، وقيل: سنة 546هـ)، وكان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث، وكانت له اليد الطولى في اللغة والأدب والشعر، واسع المعرفة، متوقد الذكاء. ولمكانته وشهرته العلمية في نواح مختلفة، أثنى العلماء عليه ومن ذلك:

- قال عنه **الفاتح بن محمد بن خاقان** (ت528هـ)، الكاتب والمؤرخ الإشبيلي، وصاحب ***قلائد العُقْيَان ومحاسن الأعيان***، والذي يعد من أمهات المصادر في الأدب والتاريخ الأندلسيين، قال: "نبعة دوح العلاء، ومحرز ملابس الثناء، فذ الجلالة، وواحد العصر والأصالة، وقار كما رسا الهضب، وأدب كما أطَّردَ السلسلُ العذب...آثاره في كل معرفة، وعَلَم في رأسه نار، وطوالعه في آفاقها صبح أو نهار...."
- ووصفه **أبو حيان**، فقال: " أجلُّ مَن صنَّف في التفسير، وأفضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير"، ونجد أبا حيان في مقدمة تفسيره يعقد مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري فيقول: "وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص، وأغوص".
- ونجد **شيخ الإسلام، ابن تيمية**، وهو يتكلم عن مناهج المفسرين، يعقد مقارنة بين الكتابين - كتاب ابن عطية وكتاب الزمخشري - في مجموع فتاواه، فيقول: "وَتَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ وَأَمْثَالُهُ خَيْرٌ مِنْ تَفْسِيرِ الزمخشري ، وَأَصَحُّ

نَقْلًا وَبَحْثًا ، وَأَبْعَدُ عَنْ الْبِدَعِ وَإِنْ اشْتَمَلَ عَلَى بَعْضِهَا ؛ بَلْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ بِكَثِيرِ ؛ بَلْ لَعَلَّهُ أَرْجَحُ هَذِهِ التَّفَاسِيرِ ؛ لَكِنَّ تَفْسِيرَ ابْنِ جَرِيرٍ أَصَحُّ مِنْ هَذِهِ كُلِّهَا ". كما يعقد ابن تيمية مثل هذه المقارنة في مقدمته في أصول التفسير، فيقول: "وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل..."

والحقيقة إن هذه الأوصاف تعبر عن شخصية هذا الإمام الفذ، وكتابه يدل على ذلك.

نبذة عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، الجزء الأول، ص 171 - 172، يقول:
"تفسير ابن عطية المسمى بـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** تفسير له قيمته العالية بين كتب التفسير وعند جميع المفسرين، وذلك راجع إلى أن مؤلفه أضفى عليه من روحه العلمية الفياضة ما أكسبه دقة، ورواجا، وقبولا. وقد لخصه مؤلفه - كما يقول ابن خلدون في مقدمته -من كتب التفاسير كلها (أي تفاسير المنقول)، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، حسنِ المنحى. (مقدمة ابن خلدون ص 491). والحق أن ابن عطية أحسن في هذا التفسير وأبدع، حتى صار صيته كل مطار، وصار أصدق شاهد لمؤلفه بإمامته في العلابية وغيرها من النواحي العلمية المختلفة......". ويضيف الدكتور الذهبي: "وجدت المؤلف (ابن عطية) يذكر الآية ثم يفسرها بعبارة عذبة سهلة ويورد من التفسير المأثور ويختار منه في غير إكثار، وينقل عن ابن جرير الطبري كثيراً ويناقش المنقول عنه أحيانا، كما يناقش ما ينقله عن غير ابن جرير ويرد عليه. وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي، معني بالشواهد الأدبية للعبارات، كما أنه يحتكم إلى اللغة العربية عندما يوجه بعض المعاني، وهو كثير الاهتمام بالصناعة النحوية، كما أنه يتعرض كثيراً للقراءات وينزل عليها المعاني المختلفة" انتهى كلامه.

الكتاب نموذج من مؤلفات التفسير التي ألَّفها أهل المغرب، وهو من الحجم المتوسط، اسم الكتاب، المحرر الوجيز، ناطقٌ معبر عن مضمون هذا الكتاب؛ فهو **محرر**، يعني غاية في التحرير والتدقيق، و**وجيز**، ليس فيه إطالة، وتظهر فيه صناعة المفسر من حيث النظر في المعاني، والتدقيق فيها والتحقيق، وبيان أوجهها، والاستدراك على كلام أئمة المفسرين المخالفة للمعاني الصحيحة التي تُحمل عليها الآية، مع سلامته من الابتداع في الجملة، وإن كان ابن عطية أشعريًّا في باب تأويل الصفات وغيرها من الأبواب التي يقع للأشاعرة مخالفة لأهل السنة والجماعة.

4. مفاتيح الغيب، للرازي

كتاب تفسير ***مفاتيح الغيب*** أو ***التفسير الكبير***، مؤلف هذا التفسير هو: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التميمي، الرازي، الملقب بفخر الدين والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المتوفى سنة 606 هـ. كان الرازي فريد عصره، ومتكلم زمانه، جمع كثيرا من العلوم ونبغ فيها، فكان إماماً في التفسير والكلام، وعلوم اللغة، والعلوم العقلية، ولقد أكسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة فكان العلماء يقصدونه من البلاد ويشدون إليه الرحال من مختلف الأقطار. وله فوق شهرته العلمية شهرة كبيرة في الوعظ. ولقد خلّف للناس مجموعة كبيرة من تصانيفه في الفنون المختلفة، ومن أهمها: تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب، وله تفسير سورة الفاتحة في مجلد واحد، وله في علم الكلام: المطالب العالية، وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، وله في أصول الفقه: المحصول، وفي الحكمة: الملخص وشرح الإشارات لابن سينا، ويقال أنه شرح المفصل في النحو للزمخشري، وشرح الوجيز في الفقه للغزالي، وغير ذلك من المصنفات في الفقه، والأصول، والجدل، والمنطق، والطب، فهو موسوعي متنوع المشارب والمعارف، (ومن الغريب أنه قد ندم في آخر حياته على الاشتغال بعلم الكلام، كما نقل عنه ابن الصلاح)

نبذة عن هذا التفسيروطريقة مؤلفه فيه:

يقع هذا التفسير في ثماني مجلدات كبار، وقد وقع خلاف بين الباحثين وأهل العلم في أن الرازي لم يتم هذا التفسير، إذن فمن الذي أكمل هذا التفسير؟ وإلى أي موضع من القرآن وصل الفخر الرازي في تفسيره؟ ويعلق على هذا الأمر الدكتور حسين الذهبي فيقول: ((الحق أن هذه مشكلة لم نوفق إلى حلها حلاً حاسماً لتضارب أقوال العلماء في هذا الموضوع، فنجد أن ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، يذكر أن الذي أكمل تفسير فخر الدين الرازي، هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي نجم الدين المخزومي القمولي، (ت 727 هـ). وصاحب كشف الظنون يجعل لقاضي القضاة شهاب الدين بن خليل الْخُوَيِّيُّ الدمشقي، (ت 693هـ)، مشاركة على وجه ما في هذه التكملة، وإن كانا يتفقان على أن الرازي لم يتم تفسيره. ولم يُعرف إلى أي موضع وصل الفخر الرازي في تفسيره)) (منقول بتصرف).

وكحل لهذا الاضطراب، يخلص الدكتور حسين الذهبي إلى أن الإمام الرازي كتب تفسير إلى سورة الأنبياء فأتى بعده شهاب الدين الخويي فشرع في تكملته ولكنه لم يتمه فأتى بعده نجم الدين القمولي فأكمل ما بقي منه، كما يجوز أن يكون الخويي أكمله إلى النهاية والقمولي كتب تكملة أخرى غير التي كتبها الخويي. ويذكر الذهبي أن هذا الرأي هو توفيق من عنده يقوم على الظن يخطئ ويصيب. والقارئ لهذا التفسير لا يكاد يلحظ فيه تفاوتاً في المنهج ولا في المسلك بل يجري على نمط واحد.

وهناك من بحث هذه المسألة مثل الدكتور عيادة الكبيسي وانتهى بعد بحث ونقاش إلى أن الرازي قد أكمل تفسيره كاملا، وأنه هو من كتبه من أوله إلى آخره. والله أعلم.

هذا.. وإن تفسير الفخر الرازي ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير، بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح شتى من العلم، ومنه:

- اهتم ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره،
- اهتم بالعلوم الرياضية والفلسفية،
- اهتم بتوضيح موقفه من المعتزلة، فالرازي كسنيّ لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليها، رداً لا يراه البعض كافياً ولا شافياً. وقد أشار ابن حجر إلى هذا الأمر في "لسان الميزان".
- اهتم بعلوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة، فالرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه لمذهب الشافعي، كذلك نجده يستطرد لذكر المسائل الأصولية، والنحوية والبلاغية، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية.

يقول الدكتور حسين الذهبي: "وبالجملة.. فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة، إذ أن هذه الناحية هي التي غلبت عليه حتى كادت تقلل من أهمية الكتاب كتفسير للقرآن الكريم."

ومن الآراء التي قيلت في هذا التفسير: يقول عنه سراج الدين السرمياحي المغربي الذي صنّف كتابا في المآخذ على تفسير الرازي، ويقع في مجلدين، بيّن فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج وكان ينقم عليه كثيرا ويقول: "يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء." يعني أنه إذا جاء يقرر كلام المبتدعة والمخالفين، فإنه يقرره في غاية الجودة، لكن ردوده تكون ضعيفة، ومرات يرجئ الرد ويحيل على مواضع أخرى، يقول: "وسأرد عليها في الموضع الفلاني، وسيأتي الجواب في الموضع الفلاني". فإذا جاء الموضع الفلاني، لم نجد ردًا له؛ فإما أن يكون نسي أو أي سبب آخر غير ذلك .

5. "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي

ألَّفه أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، المتوفى سنة 671 هـ.

الإمام القرطبي من العلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، وله تصانيف كثيرة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور علمه وفضله، من أشهر تصانيفه كتابه: ***الجامع لأحكام القرآن***، وهو من أجل التفاسير وأعظمها، وله كتاب: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وكتاب: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، وكتاب: قمع الحرص بالزهد والقناعة، وغير ذلك من الكتب.

نبذة عن هذا التفسيروطريقة مؤلفه فيه:[5]

هذا الكتاب يعتبر موسوعة في تفسير القرآن الكريم، وقد وصف العلامة بن فرحون هذا التفسير فقال: "هو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، وأسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ". وقد بيّن المؤلف طريقة تأليفه في مقدمة كتابه بقوله: "....بأن أكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير، واللغات، والإعراب، والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعا بين معانيها، ومبينا ما أشكل منها، بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف".

وقد بيّن رحمه الله في مقدمة كتابه، شرطه ومنهجه في تفسيره أوضح بيان، نجمله في النقاط التالية:

- إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله،
- الإضراب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلا ما لا بد منه، وما لا غنى عنه للتبيين،
- تبيين آيات الأحكام بمسائل تُسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها،
- إن لم تتضمن الآية حكماً ذكر ما فيها من التفسير والتأويل،
- ذكر أسباب النزول، والقراءات، والإعراب، وبيان الغريب من الألفاظ، مع الاستشهاد بأشعار العرب.

وقد وفّى القرطبي بما شرط على نفسه في هذا التفسير، فقد اهتم ببيان أسباب النزول، وذكر القراءات، واللغات ووجوه الإعراب، وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، وتحديد أقوال الفقهاء، وجمع أقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف، ويكثر فيه من الاستشهاد بأشعار العرب، وقد نقل عمن سبقه في التفسير، مع تعقيبه على من ينقل عنه، مثل: ابن جرير، وابن عطية، وابن العربي، وإلكيا الهراسي، وأبي بكر الجصاص، وقد أضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، والإسرائيليات، فلم يسقطها بالمرة وإنما ذكر جانبًا منها أحيانًا، كما رد على المعتزلة، والقدرية، والروافض، والفلاسفة، وغلاة المتصوفة، وذكر مذاهب الأئمة وناقشها. ويمتاز هذا التفسير عما سبق من تفاسير أحكام القرآن أنه لم يقتصر على آيات الأحكام فقط، والجانب الفقهي منها، بل ضم إليها كل ما يتعلق بالتفسير. لذلك يعتبر هذا الكتاب من أفضل كُتب التفسير التي عُنيت بالأحكام، فقد كان يفيض في ذكر الأحكام التفصيلية ومسائل الخلاف الفقهي، سواء ما تعلق منها بالآيات عن قرب، أو ما تعلق بها عن بعد، مع بيان أدلة كل قول.

---

[5] تم الاستعانة بكتاب "التفسير والمفسرون"، للدكتور محمد حسين الذهبي، ج2، ص 336 - 342

هذا التفسير هو في الحقيقة من أكبر الموسوعات التفسيرية، والذي يتميز أيضا بحسن الترتيب، وحسن العرض، والأدب مع المخالف، وترك التعصب، فخير ما في القرطبي أنه لا يتعصب لمذهبه المالكي، بل يمشي مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه الصواب أياً كان قائله.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: "وعلى الجملة، فإن القرطبي -رحمه الله- في تفسيره هذا، حر في بحثه، نزيه في نقده، عف في مناقشته وجدله، ملو بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن استطرد إليه أو تكلم فيه".

6. البحر المحيط، لأبي حيان

((مؤلف هذا التفسير هو أثير الدين، أبو عبدالله، محمد بن يوسف **بن حيان**، الأندلسي، الغرناطي، المتوفى ٧٤٥هـ . عُرف أبو حيان بكثرة نظمه للأشعار والموشحات كما كان على جانب كبير من المعرفة باللغة. أما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفن أكثر عمره، حتى صار لا يذكر أحد في أقطار الأرض فيهما غيره، وبجانب هذا كله كان لأبي حيان اليد الطولى في التفسير، والحديث، وتراجم الرجال ومعرفة طبقاتهم، خصوصا المغاربة. مؤلفاته كثيرة، ومن أهمها: تفسير البحر المحيط، وغريب القرآن في مجلد واحد، وشرح التسهيل، ونهاية الإعراب وخلاصة البيان.

نبذة عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

يعتبر هذا التفسير هو المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم، إذ أن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات القرآن. المؤلف قد أكثر من مسائل النحو في كتابه، مع توسعه في مسائل الخلاف بين النحويين، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير، إلا أنه مع ذلك لم يهمل ما عدا ذلك من النواحي التي لها اتصال بالتفسير فنراه يتكلم على المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والقراءات الواردة مع توجيهها، كما أنه لم يغفل الناحية البلاغية في القرآن ولا يهمل الأحكام الفهية عندما يمر على آيات الأحكام، مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدمه من الخلف في ذلك.

وأبو حيان ينقل في تفسيره كثيرا من تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية، خصوصا ما كان في مسائل النحو ووجوه الإعراب، ويتعقبها بالرد والتفنيد. فخلاصة القول فإن أبا حيان قد غلبت عليه في تفسيره الناحية التي برز فيها وبرع فيها وهي الناحية النحوية التي طغت على ما عداها من نواحي التفسير.))[6]

[6] منقول بتصرف من كتاب التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 225 – 228.

هذا التفسير من المصادر التي تكشف صورة التأليف في تلك المرحلة. ولعل هذا الكتاب، مع أهميته وما يكشفه من طبيعة التأليف في هذه المرحلة، إلا أنه يأتي في أواخر هذه المرحلة من مراحل تاريخ التدوين في التفسير. يقول عنه تلميذه الصفدي، يتكلم عن أبي حيان الأندلسي: "لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في كتاب، وكان ثَبْتًا قيما عارفًا باللغة. وأما النحو والتصريف، فهو الإمام المطلق فيهما ." وهذه شهادة من تلميذه الذي خبره وعلم سيرته. وتفسيره أيضًا أحد الموسوعات الكبيرة في علم التفسير. اعتنى فيه بشكل كبير بصناعة النحو، وضمنه كثيرا من المسائل في اللغة، وفرائد وفوائد قلَّ نظيرها، وقل أن تجدها في غيره. وقد استفاد كثيرًا من تفسير ابن عطية، والزمخشري، وابن النقيب .

هذا، أيها الإخوة، باختصار أبرز الكتب والمصادر التي أُلِّفت في مرحلة التطور والازدهار . وقد اخترنا عددًا من الكتب المتنوعة، ما بين من يعتني بالسلف وآثارهم، وما بين من يعتني ببلاغة القرآن، وآخر يعتني باللغة والتصريف، وآخر يعتني بأحكام القرآن، ليكشف لنا طبيعة التأليف في هذه المرحلة والمستوى الذي وصله التأليف فيها، مما يعكس ويقرر ما أشرنا إليه سابقًا من أن هذه المرحلة تُعتبر هي العصر الذهبي في تاريخ التدوين في علم التفسير .
بهذا نختم الكلام عن هذه المرحلة، منتقلين إلى المرحلة التي تليها؛ وهي مرحلة الركود.

المرحلة الرابعة من مراحل تاريخ التفسير: عصر الركود

وهذه المرحلة يمكن أن تكون قد ابتدأت في أواخر القرن التاسع الهجري وبدايات القرن العاشر الهجري، واستمرت إلى سقوط الخلافة الإسلامية ودخول المستعمرين بلاد المسلمين واحتلالهم لها. وحينما نسميها مرحلة أو عصر الركود، فنعني بذلك أن الحركة العلمية قد ركدت في هذه الفترة. والحركة العلمية التي نقصدها هي الحركة العلمية المتعلقة بالتفسير، وليس شيئاً آخر غير التفسير؛ لأنها قد تكون هذه هي مرحلة الركود في علم التفسير، لكنها قد تكون مرحلة نهضة في علوم أخرى غير علم التفسير، إنما هذا الوصف يخص علم التفسير . وحينما نقول الركود فنعني به أن التأليف في التفسير قد ركد. ومعنى أنه ركد ليس أنه لا يوجد تأليف أو مؤلفات؛ بل الركود هنا في الإبداع في التفسير والتأليف. هذا الذي نقصده بالركود .

أبرز سمات هذه المرحلة من مراحل تاريخ التفسير، مرحلة الركود هي:

- **ضعف النشاط العلمي وقلة المجتهدين** الناظرين في كلام الله عز وجل، حيث غلب على هذه المرحلة التقليد والاقتصار على الجهد الذي خلَّفه العلماء السابقون، ولا سيما في المرحلة السابقة التي تكلمنا عنها .
- **كثرة الحواشي:** فغالب التفاسير والتدوين في علم التفسير اتجه إلى الاكتفاء بالتراث العلمي الذي خلَّفه السابقون، حيث قل المجتهدون وغلب التقليد. نعم، هناك تفاسير كثيرة جدًا ومؤلفات كثيرة جدًا في هذه المرحلة، لكن يغلب عليها إما الجمع بين عدد من الكتب؛ يأتي المفسر فيجمع عددًا من التفاسير السابقة

وينتخب منها تفسيرًا، أو يختصرها، أو يعمدون إلى شرح مختصراتها، إذا وجدوا تفسيرا مختصرا قاموا بشرحه، ونحو ذلك. فهم في الحقيقة يدورون في فلك المؤلفات السابقة. ولهذا كثرت الحواشي على التفاسير في هذه المرحلة، كَثُرَت كَثْرَةً لافتة للنظر، فتستغرب من كثرة الحواشي على التفاسير. لم تعد هناك الهمم لأن يبدأ الإنسان بتأليف كتاب مستقل، بل يذهب إلى أحد الكتب المشهورة فيضع عليه حاشية، **فتفسير البيضاوي** مثلا، الحواشي التي عليه تفوق المائة حاشية بين طويل ومختصر، منها:

* مختصر تفسير البيضاوي، لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بإمام الكاملية الشافعي القاهري، المتوفى سنة 874 هـ.
* حاشية الفاضل، أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني، المتوفى في حدود سنة 945 هـ.
* عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (حاشية الشهاب)، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، المتوفى سنة 1069 هـ.

أهم أسباب الركود العلمي والإبداعي في التأليف في التفسير

1- **الاضطراب السياسي الذي شهده العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العباسية**، وحصول الاضطراب في العالم الإسلامي، حيث كثرت الممالك، وكثرت الإمارات، وكثر الاقتتال والاحتراب في داخل العالم الإسلامي، فصرف الناس وصرف العلماء وصرف الأمراء عن الاهتمام بالعلم وأهله، ورعاية المبدعين.

2- **ظهور الدعوة إلى إغلاق باب الاجتهاد** في تلك المرحلة اكتفاءً بما خلَّفه العلماء المتقدمون، فقالوا إنه لم يعد هناك من حاجة لأن نجتهد؛ لأن السابقين لنا قد كفونا تلك المؤونة .فهذه الدعوة ورواجها يحجب المحاولات العلمية التي تخترق باب التقليد وباب اجترار النتاج العلمي للسابقين.

من أهم المؤلفات في التفسير في عصر الركود

نقول هذا الكلام ونؤكد أيضا على أن هذه المرحلة لم تخل من مؤلفات علمية قيمة لها تأثيرها، ولكننا نتكلم عن السمة الغالبة في تلك المرحلة. ولعلنا نشير إلى كتابين فقط من التفاسير في هذه المرحلة للتعريف بها :

1. **تفسير الجلالين:** والجلالين نسبة إلى: جلال الدين، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلِّي الشافعي، المتوفى سنة 864 هـ، وجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي الشافعي، المتوفى سنة 911 هـ. هذا التفسير هو تفسير مختصر، أشبه ما يكون بالحاشية على القرآن الكريم. بدأه جلال الدين المحلي من سورة الكهف حتى آخر القرآن، ثم جاء جلال الدين السيوطي فأكمله على طريقته وغراره، حتى أنك لا تكاد تشعر باختلاف المنهجين، إلا أن السيوطي أميز منه عنايةً بأسباب النزول والرواية. ومن العجيب

أن هذه الحاشية أو هذا التفسير المختصر لقي رواجًا كبيرًا وعنايةً من أهل العلم، فكثرت عليه الحواشي والشروح بشكل كبير. من أحسن تلك الحواشي على تفسير الجلالين: حاشية العجلي الشافعي التي تسمى ***حاشية الجمل***، هي من أجود الحواشي على هذا الكتاب .

2. **تفسير أبي السعود:** من الكتب أيضا المهمة في هذه المرحلة، بل من أجودها: كتاب ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز***، المعروف بتفسير أبي السعود، ألَّفه محمد أبو السعود بن محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى عماد الدين العمادي الحنفي، المتوفى سنة 982 هـ . ومن مؤلفاته أيضاً: ***تحفة الطلاب في المناظرة***، و ***رسالة في المسح على الخفين***. فقد كان فقيهًا وقاضيا مجتهدًا فترقى حتى أصبح مفتياً للدولة القسطنطينية وشيخاً للإسلام في الفترة من 952هـ إلى 982هـ. وقد اعتنى في مُؤَلَّفُه "إرشاد العقل السليم" بشكل كبير ببلاغة القرآن الكريم وبديع نظمه، وهو في هذا يتكئ على كتابي الكشاف والبيضاوي، وله اختيارات خاصة ونظر خاص، مع جودة العبارة وحسن السبك. فتفسيره من التفاسير المميزة التي تعكس أيضًا طبيعة تلك المرحلة .

هذه باختصار أبرز سمات مرحلة أو عصر الركود، وهي، كما ذكرت لكم، من المراحل التي مرَّ بها علم التفسير، ومرحلة الركود لا تخص علم التفسير فقط بل قد يلحق الركود بأي علم، وهذه من طبيعة تطور أي علم الذي يبدأ صغيرًا ثم ينمو حتى يصل إلى القمة والذروة، وقد يستقر عليها فترة، وقد يهبط بعد ذلك عن هذه الرتبة والمنزلة .

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم، على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **سعاد ابراهيم**
قام بالمراجعة الأولى: **مروة الماحي**
قام بالمراجعة الثانية: **خلدون الأتاسي**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط وإعادة الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش.**



تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، ومن مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، بالإضافة إلى نقل أقوال العلماء بالنص من مصادرها المنشورة.

حاولت باجتهاد متواضع أن ألقي بعض الضوء على كل تفسير من التفاسير المشار إليها في هذه المحاضرة وذلك بالاستعانة بكتاب *التفسير والمفسرون*، للدكتور محمد حسين الذهبي، ومصادر أخرى تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.

رئيفة درويش



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة التاسعة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وبعد. كنا أيها الإخوة الكرام في المحاضرة الماضية تكلمنا عن مرحلة عصر الركود التي مر بها علم التفسير في تاريخ تدوينه، وذكرنا أبرز ملامح ذلك الركود، وأيضًا أسباب ذلك الركود في تلك المرحلة، ثم انتهى بنا الحديث إلى ذكر كتابين من الكتب التي ألفت في تلك المرحلة. سنختم حديثنا عن تاريخ التدوين في علم التفسير بالمرحلة الخامسة، وهي المرحلة الأخيرة، والتي أطلقنا عليها **مرحلة العصر الحديث.** وللتذكير، فإن المراحل التي مر بها **تاريخ التفسير** هي:

4. المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والظهور، من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عهد الصحابة، ثم عهد التابعين.
5. المرحلة الثانية: مرحلة التفسير في عصور التدوين، من بداية التدوين في التفسير إلى بداية القرن الرابع الهجري.
6. المرحلة الثالثة: مرحلة التطور والازدهار، من بداية القرن الرابع إلى نهاية القرن العاشر الهجري.
7. المرحلة الرابعة: عصر الركود، من القرن العاشر الهجري حتى سقوط الخلافة العثمانية.
8. المرحلة الخامسة: العصر الحديث، من عصر النهضة العلمية الحديثة إلى اليوم.

المرحلة الخامسة من تاريخ التفسير: العصر الحديث

إن الكلام عن هذه المرحلة له عدد من المجالات والجوانب والوقفات، التي قد تتشابك مع مقررات أخرى تدرسونها؛ ولهذا سأختصر إن شاء الله عز وجل قدر استطاعتي فيما يتعلق بالكلام عن هذه المرحلة؛ لأن الذي يهمنا هو الوقوف على السمات الغالبة للمرحلة، وشيء مما دُوِّن فيها دون إطالة.

وبدايةً نقول في مسألة تحديد متى يبدأ العصر الحديث، أن هذا فيه اختلاف بين المختصين، لكن بكل حال فإن سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية، ودخول المحتل إلى بلاد المسلمين إلى يومنا هذا، يعتبر علامةً فارقةً في تاريخ المسلمين، فالفترة ما قبل سقوط الخلافة العثمانية وما بعدها هي نقطة فارقة وكبيرة جدًا في تاريخ العالم الإسلامي. فمنذ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقيام الدولة الإسلامية التي ينضوي تحتها كل المسلمين، واستمرار الخلافة الإسلامية الأموية، ثم العباسية، ثم العثمانية، وبعد ذلك سقوط الخلافة الإسلامية وسقوط مسمى الخلافة الإسلامية، ودخول المستعمر بلاد المسلمين، وتجزئة بلاد المسلمين وتقطيع أوصالها، هذه علامة فارقة ومؤثرة تأثيرًا كبيرًا جدًا، ليس فقط على جانب معين من جوانب حياة المسلمين، بل أثر على كل جوانب حياة المسلمين؛ الجوانب

السياسية، والجوانب الاقتصادية، والجوانب الاجتماعية، والجوانب الفكرية والعلمية، كل الجوانب أثَّرت فيها، ولذلك التأريخ بها وجعلها نقطةً فارقةً في تاريخ تدوين علم التفسير مهم جدًا.

سقوط الخلافة الإسلامية كان له تأثير عميق جدًا على المسلمين كلهم، وعلى وجه الخصوص على أهل العلم، لما رأوا العالم الإسلامي كله يتهاوى بعد سقوط الخلافة الإسلامية وإبعاد الخليفة المسلم، والعالم الإسلامي كله يتم تقسيمه وتوزيعه كما تتقاسم الكعكة بين المستعمرين، حتى أصبحت البلدان الإسلامية كلها فريسةً سهلةً ولقمةً سائغةً بيد المستعمر المحتل، كل هذا جعل أهل العلم يبدءون بمراجعةٍ ذاتيةٍ لأنفسهم ولواقعهم، والمراجعة الذاتية لأسباب هذه النكبة العظيمة التي حلت بالإسلام وأهله.

وكلهم بلا اختلاف يدركون أن السبب هو بعدهم عن كتاب الله عز وجل؛ لأن هذا القرآن الكريم هو كان سبب عز المسلمين، ونشأتهم، وظهورهم، وغلبتهم، وانتشارهم، فبُعدهم عنه أوقعهم في هذه الحال التي هم عليها، ولذلك هم اقتنعوا أن أسباب نهضة المسلمين، وأسباب رجوع المسلمين عن هذا التخلف لكي يعودوا مرة أخرى قادة العالم، يكمن في هذا القرآن الكريم، فكل الحركات التصحيحية، كل المسارات النهضوية في العالم الإسلامي، كلها تنطلق من القرآن الكريم، حتى النهضات الفكرية والعلمية.

تميزت مرحلة العصر الحديث بسمة بارزة، وربما تكون هي السمة التي يندرج تحتها كل ما عداها من السمات، **تميزت هذه المرحلة بالمحاولات الجادة للتجديد في النظر في كلام الله عز وجل وتفسيره**، كانت هذه هي السمة البيّنة الواضحة على أغلب الجهد العلمي في تفسير كلام الله عز وجل، بل حقيقة لا تكاد تجد مفسرًا معاصرًا فسَّر كلام الله عز وجل إلا وهو يستصحب هذا المعنى؛ أن يجدد في التفسير، وتجده في ثنايا كلامه يشير إلى أنه أراد بتفسيره تجديد التفسير، وتجديد النظر في التفسير بعد ما مر به التفسير من فترة الركود والجمود الخالية من التجديد والابتكار. ولكن، هل هذا التجديد كان تجديداً حقيقياً أم صورياً؟ هل التزم المفسرون في العصر الحديث بالتجديد فعلًا أم لا؟ نستطيع أن نقول: إن **غالب التفاسير الموجودة لم تحقق التجديد بالمفهوم الصحيح، ولا بالمفهوم الذي قصده حتى المؤلف**، فلا يصدق التجديد إلا على كتب محدودة معدودة من التفاسير المعاصرة، كما سنوضح ذلك إن شاء الله في الأمثلة التي نضربها على الكتب التي ألفت في هذه المرحلة.

✔ مميزات التفسير في العصر الحديث

((ظل التفسير واقفا عند مرحلة الركود والجمود لا يتعداها ولا يحاول التخلص منها حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، فاتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرروا من قيد هذا الركود، ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب الله نظرة – وإن كان لها اعتماد كبير على ما دونه الأوائل في

التفسير – أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيرا لا يسعنا إنكاره، ذلك هو العمل على التخلص من كل هذه الاستطرادات العلمية التي حشرت في التفسير حشرا ومزجت به على غير ضرورة لازمة، والعمل على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي الذي كاد يذهب بجمال القرآن وجلاله، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على أصحابه عليهم رضوان الله تعالى، وإلباس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا، يظهر روعة القرآن، ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية، والتوفيق بجد بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جد من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموفقين في الغلو والاعتدال، وكان ذلك من أجل أن يعرف المسلمون وغير المسلمين أن القرآن هو الكتاب الخالد، الذي يتمشى مع الزمن في جميع أطواره ومراحله.. وهناك غير هذه الآثار آثار أخرى ظهرت في الاتجاه التفسيري في هذا العصر الحديث، نشأت عن عوامل، أهمها: التوسع العلمي، والتأثر بالمذهب والعقيدة، والإلحاد الذي قام على حرية الرأي الفاسد.))[7]

✓ محاولات التجديد في التفسير في العصر الحديث

محاولات التجديد في التفسير اتخذت شكلين:

1. **التجديد في طريقة العرض:** التجديد الشكلي الظاهري الذي لا يمس الجوهر، وإنما يتعلق بطريقة العرض وشكله ومظهره، من حسن العرض، وحسن الترتيب، وحسن التقسيم، ولاختصار، والتقريب، وتسهيل العبارة، ونحو ذلك. وهذا هو السمة الغالبة على محاولات التجديد في التفسير في العصر الحديث، وهو ما نسميه بالتجديد الظاهري الشكلي.
2. **التجديد في المضمون:** التجديد الحقيقي، حيث يعتمد على محاولات جادة في الكشف عن معاني القرآن الكريم، أو طرق مواضيع وميادين جديدة لم يسبق إليها، أو إبراز مناهج واتجاهات جديدة في طريقة التأليف والكتابة في التفسير، وهذا النوع من التجديد هو الأقل في الحقيقة؛ لأنه دائمًا الشيء المميز يكون أقل من الشيء المعتاد. (وأرجو إن شاء الله أن تدرسوا ذلك في مقرر مستقل، يكشف الضوء عن التأليف، واتجاهات التأليف في العصر الحديث).

✓ اتجاهات التفسير في العصر الحديث

ظهرت اتجاهات في التفسير لم تكن معروفة من قبل، يمكن إجمالها في ثلاثة اتجاهات برزت بشكل كبير وبيّن وهي:

1. **الاتجاه الأول: الاتجاه الاجتماعي:** وحينما نقول الاتجاه الاجتماعي فنحن نعني به ذلك النوع من التفسير الذي يعالج قضايا الناس الواقعة، منطلقا من القرآن الكريم، فيحاكم تلك الظواهر الإجتماعية إلى القرآن

[7] الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص 363 - 369.

الكريم، ويتحاكم إلى معاني القرآن الكريم وهداياته في تقييم الواقع أو معالجة الانحراف فيه، مسترشدًا بهدي القرآن، ومستهديًا بنوره، وهو يتناول تلك القضايا الاجتماعية.

((هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران..... إن الفضل في هذا اللون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده للتفسير فهو زعيمها وعميدها، ثم المرحوم السيد محمد رشيد رضا، ثم المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي، وهما خير من أنجبت هذه المدرسة))[8].

2. **الاتجاه الثاني: الاتجاه الموضوعي:** وهو الذي يعتني بدراسة الموضوعات التي وردت في القرآن الكريم بمنظور قرآني، يكون القرآن هو مُنطلَقه في مدارسة ودراسة ذلك الموضوع الذي ورد في القرآن الكريم.

3. **الاتجاه الثالث: الاتجاه العلمي:** ونعني به الربط بين ما في القرآن الكريم من إشارات إلى مسائل علمية، وما كشفه العلم الحديث في شتى ميادين المعرفة، فيعتنون بالربط بين ما في القرآن الكريم من إشارات إليها وبين ما دل عليه العلم الحديث في مختلف الميادين العلمية، في الطب، في الفلك، في الاقتصاد، في علم النفس، في علم الأرض وطبقاتها، في علم الأفلاك، شتى أنواع العلوم والمعرفة.

((هذا اللون من التفسير، والذي يرمي إلى جعل القرآن مشتملا على سائر العلوم ما جد منها وما يجد، قد استشرى أمره في العصر الحديث، وراج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية بالعلوم وعناية بالقرآن الكريم، وكان من أثر هذه النزعة التفسيرية التي تسلطت على قلوب أصحابها، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيرا من الكتب يحاول أصحابها فيها أم يحمِّلوا القرآن كل علوم الإض والسماء، وأن يجعلوه دالا عليها بطريق التصريح أو التليمح، اعتقادا منهم أن هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه وإعجازه وصلاحيته للبقاء. ومن أهم الكتب التي عنيت بهذا اللون كتاب: "كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية" للإمام محمد بن أحمد الاسكندراني، من علماء القرن الثالث عشر الهجري. وأعظم علماء العصر الحديث تشيعا للنزعة التفسيرية العلمية وأكثرهم إنتاجا لهذا التفسير هو المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره: ***الجواهر***، المطبوع سنة 1341هـ – 1351هـ.))[9].

---

8 المصدر السابق
9 المصدر السابق

هذه الاتجاهات الثلاثة الجديدة في التفسير برزت بشكل كبير في العصر الحديث فأصبحت سمةً غالبةً على كثير من المؤلفات في التفسير في هذا العصر، حتى أن بعض الجامعات والمراكز العلمية المستقلة قامت بتبني الاتجاهين الموضوعي و العلمي، واعتنت بهما.

ظهور اللون المذهبي، واللون الإلحادي في التفسير:

من ألوان التفسير التي ظهرت في العصر الحديث هو ظهور اللون المذهبي واللون الإلحادي بسبب وجود بعض الفرق المنحرفة في هذا العصر، حيث نجد أن المحاولات الجادة للتجديد في التفسير والنظر فيه، رافقها وسار معها بخطٍ موازٍ اتجاهات منحرفة في تفسير كلام الله عز وجل، تَتَزَيَّا بزيِّ التجديد وروح المعاصرة، وهي في الحقيقة اتجاهات غربية تغريبية، تعتمد مناهج فلسفية، تنتهي بصاحبها وبالمشتغل بها إلى الطعن في القرآن الكريم، وفي أبرز ما يميزه وهو أنه كلام الله عز وجل، فاعتمدت على تجريد القرآن الكريم من أعظم سمة له، وهو كونه كلام الله عز وجل، بالرغم من أن أصحاب هذا الخط الموازي أيضا يدَّعون التجديد وروح المعاصرة في فهم كلام الله عز وجل، ولكن - كما ذكرت لكم - ينتهي بهم الحال إلى تجريد القرآن عن أعظم ميزة له وهو أنه كلام الله عز وجل، فإذا جُرِّد عن هذا المعنى بقي كنص تراثي كسائر النصوص التراثية، يخضع للمقاييس الأدبية والذوقية لمتلقيه، أيًا يكن ذلك المتلقي، وهي في الحقيقة انتشرت بشكل كبير جداً، إن لم تكن في مستوى المحاولات الجادة الراشدة للتجديد في التفسير، فهي قريبة منها في خطورتها وكثرتها وكثرة المتأثرين بها، ولا سيما من طبقة المثقفين وأهل الرأي والفكر. (ولعله إن شاء الله عز وجل ييسر الله لكم في أحد المقررات في ضمن الأكاديمية دراسة هذه المناهج المنحرفة في تفسير كلام الله عز وجل في العصر الحديث).

✓ أهم المؤلفات في التفسير في العصر الحديث

نختم الكلام عن هذه المرحلة بذكر بعض نماذج للتفاسير في هذه المرحلة، منها:

1. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني [10]

ألَّفه أبو الثناء، **شهاب الدين محمود بن شكري الآلوسي**، المتوفى سنة 1270 من الهجرة. كان الألوسي عالماً باختلاف المذاهب، مطلعا على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، إلا أنه كان في كثير من المسائل يقلد أبا حنيفة، وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد. خلف للناس ثروة علمية كبيرة ونافعة، منها تفسيره لكتاب الله (ما نحن بصدده)، وحاشيته على قطر الندى، وشرح السلم في المنطق، ومنها: الفوائد السنية في علم آداب البحث، وغير ذلك من المؤلفات.

[10] الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 250 – 257.

نبذة عن هذا التفسيروطريقة مؤلفه فيه:

- هذا التفسير الموسوعي يعتبر كتابا جامعا لآراء السلف رواية ودراية، مشتملا على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل من سبقه من التفاسير، فينقل عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي وغيرها من كتب التفسير المعتبرة، وكان عندما ينقل من هذه التفاسير ينصب نفسه حكما عدلا بينها، وينقد نقدا مدققا، ثم يبدي رأيه حرا فيما ينقل،
- الألوسي في تفسيره له موقف من المخالفين لأهل السنة، فنراه كثيرا ما يفند أراء المعتزلة والشيعة وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه،
- استطرد الألوسي في تفسيره في المسائل الكونية،
- استطرد في المسائل النحوية إلى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسرا،
- إذا تكلم عن آيات الأحكام يستوفي مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم التعصب منه لمذهب معين،
- شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة،
- تعرض في تفسيره للقراءات والمناسبات وأسباب النزول، وكثير الاستشهاد بأشعار العرب.
- لم يفت الألوسي أن يتكلم عن التفسير الإشاري بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات، ومن هنا يعد بعض العلماء تفسيره هذا ضمن كتب التفسير الإشاري.

2. "تفسير التحرير والتنوير"، لابن عاشور

هذا التفسير ألّفه العالم والفقيه التونسي، الشيخ **محمد الطاهر بن محمد بن عاشور**، المتوفى سنة 1393 للهجرة. فسّر الشيخ ابن عاشور القرآن الكريم تفسيرا كاملا سماه: ***تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد***، واختصر هو نفسه هذا الاسم تحت عنوان ***تفسير التحرير والتنوير***.

ألف عشرات الكتب منها ما هو في العلوم الإسلامية ومنها ما هو في العربية وآدابها: مثل: كتابه الثمين والفريد من نوعه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، و"الوقف وآثاره في الإسلام"، و"كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ"، و"التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح" في أصول الفقه وهذا الكتاب هو شرح على كتاب تنقيح الفصول في الأصول للقرافي ، وغيرها من الكتب النافعة.

نبذة عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

ويعتبر هذا التفسير موسوعة من المعارف، ويعتبر من أفضل التفاسير المعاصرة التي تعكس سمات هذه المرحلة من محاولات التجديد في التفسير، فهو يمثل ما نشير إليه من رغبة علماء هذا العصر في التجديد في التفسير، بل يمكن أن يعد في ضمن مجموعة من التفاسير هي أفضل ما دُوِّن في تاريخ التفسير. اعتنى مؤلفه بشكل كبير بإظهار وجوه نظم القرآن وبلاغته وإعجازه، مع بيان مقاصد الشريعة الكبرى، وهو في الحقيقة معدودٌ ممن جدد في التفسير في العصر الحديث.

وقد بيّن ابن عاشور منهجه فيه في مقدمته فقال : " وَقَدِ اهْتَمَمْتُ فِي تَفْسِيرِي هَذَا بِبَيَانِ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ ، وَنُكَتِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ ، وَاهْتَمَمْتُ أَيْضًا بِبَيَانِ تَنَاسُبِ اتِّصَالِ الْآيِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ... وَلَمْ أُغَادِرْ سُورَةً إِلَّا بَيَّنْتُ مَا أُحِيطُ بِهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا ؛ لِئَلَّا يَكُونَ النَّاظِرُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مَقْصُورًا عَلَى بَيَانِ مُفْرَدَاتِهِ وَمَعَانِي جُمَلِهِ كَأَنَّهَا فِقَرٌ مُتَفَرِّقَةٌ تَصْرِفُهُ عَنْ رَوْعَةِ انْسِجَامِهِ وَتَحْجُبُ عَنْهُ رَوَائِعَ جَمَالِهِ. وَاهْتَمَمْتُ بِتَبْيِينِ مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، بِضَبْطٍ وَتَحْقِيقٍ مِمَّا خَلَتْ عَنْ ضَبْطِ كَثِيرٍ مِنْهُ قَوَامِيسُ اللُّغَةِ. وَعَسَى أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْمُطَالِعُ تَحْقِيقَ مُرَادِهِ ، وَيَتَنَاوَلَ مِنْهُ فَوَائِدَ وَنُكَتًا عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ ، فَإِنِّي بَذَلْتُ الْجُهْدَ فِي الْكَشْفِ عَنْ نُكَتٍ مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْجَازِهِ خَلَتْ عَنْهَا التَّفَاسِيرُ ، وَمِنْ أَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ الْفَصِيحِ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ هِمَمُ النَّحَارِيرِ ، بِحَيْثُ سَاوَى هَذَا التَّفْسِيرُ عَلَى اخْتِصَارِهِ مُطَوَّلَاتِ الْقَمَاطِيرِ ، فَفِيهِ أَحْسَنُ مَا فِي التَّفَاسِيرِ، وَفِيهِ أَحْسَنُ مِمَّا فِي التَّفَاسِيرِ ، وَسَمَّيْتُهُ : تَحْرِيرَ الْمَعْنَى السَّدِيدِ وَتَنْوِيرَ الْعَقْلِ الْجَدِيدِ مِنْ تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ، وَاخْتَصَرْتُ هَذَا الِاسْمَ بِاسْمِ : التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ مِنَ التَّفْسِيرِ "[11]. انتهى .

3. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي

من الكتب أيضا المؤلفة في هذا العصر: ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***، **لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي**، المتوفى أيضا سنة 1393 للهجرة، وهو من كبار العلماء المعاصرين، ممن برع في التفسير، والفقه، والأصول، والنحو، والسيرة، والتاريخ، ودرَّس وعلَّم وصار قاضيًا، حتى استقر به المقام ونزل في المدينة وكان من أهلها، ومن مؤلفاته المشهورة "منع جواز المجاز"، ومن مؤلفاته أيضا "دفع الاضطراب عن آي الكتاب"، وكتابه ***أضواء البيان*** توفي رحمه الله قبل إتمامه، فأتمه تلميذه الشيخ عطية سالم -رحم الله الجميع-، وقد أوضح في مقدمته مقصوده من التأليف؛ بأنه أراد بيان القرآن بالقرآن، ولأجل ذلك كتب في المقدمة كلامًا مطولًا عن تفسير القرآن بالقرآن فقال:

---

[11] "التحرير والتنوير" (1/8)

"واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران: أحدهما بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا، وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن إلاّ بالقراءة سبعية سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها، ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهادًا للبيان بقراءة سبعية، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات. والثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة في هذا الكتاب، فإننا نبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء في ذلك، ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل، من غير تعصب لمذهب معين ولا لقول قائل، معين لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلامه صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيرًا. وقد تضمن هذا الكتاب أمورًا زائدة على ذلك، كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب والاستشهاد بشعر العرب وتحقيق ما يحتاج إليه فيه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الأحاديث"

4. **"تفسير المنار"، لمحمد رشيد رضا** [12]

من التفاسير المهمة أيضا في العصر الحديث: تفسير القرآن الحكيم، المشهور بـ***تفسير المنار***، وألّفه الشيخ **محمد رشيد رضا**، المتوفى سنة 1354هـ. يعتبر محمد رشيد رضا مفكراً إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي والنهضة الفكرية الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا. هو أحد أبرز تلاميذ الشيخ محمد عبده، أسس مجلة "المنار" على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده.

إذا تتبعنا ما كتبه الشيخ رشيد رضا من تفسير للقرآن الكريم لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الإمام محمد عبده إنتاجا في التفسير، ذلك أنه ابتدأ في تفسيره بأول القرآن وانتهى عند قوله تعالى في الآية 101 من سورة يوسف: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: 101]. هذا القدر من التفسير مطبوع في اثني عشر مجلدا كبارا، وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله. هذا وقد فسر الشيخ رشيد رضا من القصار: سورة الكوثر، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتين.

[12] تم الاستعانة بكتاب "التفسير والمفسرون" للدكتور محمد حسين الذهبي، ج2، ص 422 – 425 في صياغة هذا الجزء من المحاضرة.

ربما لا نستطيع أن نستبين منهج الشيخ رشيد بشكل واضح في تفسيره لهذا الكتاب؛ لأنه لم يُؤَلِّف وهو يريد التفسير ابتداءً، كما أنه مكث مدةً طويلةً أكثر من ثلاثين سنة في تفسيره، ولهذا يصعب أن نضع منهجًا محددًا لهذا التفسير، وفضلًا عن ذلك، فتفسيره كان أصلًا دروسًا في التفسير ألقاها شيخه الإمام محمد عبده مشافهةً، فكان يكتب ما يسمع، ثم يزيد عليه بما يذكره من دروس الشيخ بعد ذلك، ثم يقوم بعد ذلك بنشرها في مجلة "المنار" بعد أن يحررها. ففي هذه الأثناء كان يسير على منهج الإمام محمد عبده في التفسير.

يوضح الدكتور محمد حسين الذهبي منهج الشيخ رشيد رضا في التفسير قبل وفاة الإمام محمد عبده، فيقول: " وأما منهجه فيه فهو عين ما نهجه الأستاذ الإمام، فلا تقيد بأقوال المفسرين، ولا تحكم للعقيدة في نص القرآن، ولا خوض في إسرائيليات، ولا تعيين لمبهمات، ولا تعلق بأحاديث موضوعة، ولا حشد لمباحث الفنون ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات العلوم، بل شرح للآيات بأسلوب رائع وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة، وتوضيح لمشكلات القرآن، ودفاع عنه يرد ما أثير حوله من شبهات، وبيان لهدايته، ودلالة إلى عظيم إرشاده، وتوقيف على حكم تشريعه، ومعالجة لأمراض المجتمع بناجع دوائه، وبيان لسنن الله في خليقته."

ولكننا نجد أن الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة شيخه أكملَ تفسيرَه (تفسير المنار)، ولكن بعد أن أحاد عن منهج شيخه بعض الشيء واستقل بعمله - لأن شيخه كان يعتني بالمسائل العقلية، وكان يدع مجالًا للعقل بصورة أرحب وأوسع في النظر في الآيات - يحدثنا الشيخ رشيد بذلك فيقول: "وأنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه -رحمه الله تعالى- بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء أكان تفسيرًا لها، أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس.".

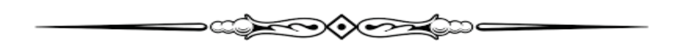
ومما يُذكر أيضًا، أن الشيخ رشيد رضا لما بدأ ينشر تفسيره في مجلته "المنار"، وهي يطلع عليها جمهور الناس بمختلف طبقاتهم العلمية والفكرية، اضطره ذلك إلى أن يستجيب لحاجات الناس وما يرغبونه، من تعطشهم للهداية بالقرآن الكريم، ورغبتهم في الرجوع إلى معانيه وهداياته، فجعله ذلك يعتني بعقد فصول إصلاحية، تركز على جوانب الخلل في المجتمعات وإصلاحها، وأدرجها في تفسيره.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **نهى الخشن**
قام بالمراجعة الأولى: **أحمد عبد الرحمن**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، ومن مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، بالإضافة إلى نقل أقوال العلماء بالنص من مصادرها المنشورة.
حاولت باجتهاد متواضع أن ألقي بعض الضوء على كل تفسير من التفاسير المشار إليها في هذه المحاضرة وذلك بالاستعانة بكتاب ***التفسير والمفسرون***، للدكتور محمد حسين الذهبي، ومصادر أخرى تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.
رئيفة درويش



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد، كنا في المحاضرة الماضية قد بدأنا الكلام عن المرحلة الأخيرة من مراحل التفسير، وهي **التفسير في العصر الحديث**، وأشرنا إلى الاختلاف بين المختصين في تاريخ بداية العصر الحديث ، إلا أننا نعتقد أن سقوط الخلافة الإسلامية ودخول العالم الإسلامي في مرحلة الاستعمار الغربي، أن هذه علامة بارزة جدا ومؤثرة في المسار العلمي، ليس فقط في علم التفسير، بل في كل العلوم. كما أشرنا في المحاضرة السابقة إلى أبرز سمة من سمات التفسير في العصر الحديث، وهي محاولة التجديد، هذه هي السمة الغالبة جدا، وتجدها حاضرة في أذهان كل أهل العلم و المختصين والباحثين الذين يشتغلون بتفسير كلام الله عز وجل، وذكرنا بعض كتب التفسير التي تعكس طبيعة هذه المرحلة. في هذه المحاضرة بإذن الله سنستكمل الكلام عن ذكر بعض المؤلفات في التفسير التي تعكس طبيعة المرحلة الأخيرة من مراحل التفسير، وهي التفسير في العصر الحديث.

✓ تابع: أهم المؤلفات في التفسير في العصر الحديث

5. تفسير المراغي

من أهم كتب التفسير التي أُلِّفت في هذه المرحلة هو: ***تفسير المراغي*** الذي ألَّفه المفسر المصري الشيخ **أحمد مصطفى المراغي**، المتوفى سنة 1371 للهجرة، وهو شقيق لشيخ الأزهر آنذاك،الشيخ محمد مصطفى المراغي. الشيخ أحمد مصطفى المراغي من علماء اللغة العربية والشريعة الإسلامية، له عدد من المؤلفات منها: كتاب ***الحسبة في الإسلام***، وكتاب ***الوجيز في أصول الفقه***، وكتاب ***علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني***، وكتابه ***تفسير المراغي***، وهو أشهر كتبه.

نبذة عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

((شَرَح الشيخ المراغي منهجه في التفسير في مقدمة كتابه، والذي نستطيع أن نستخلص منه: أنه كان يذكر الآيات، ويشرح المفردات اللغوية، ويأتي بالمعنى الإجمالي للآيات، ويبين أسباب النزول، وكان يُعرِض عن ذكر مصطلحات العلوم من نحو وصرف وبلاغة إلى أشباه ذلك، مما أدخله المفسرون في تفاسيرهم، والتي كانت من العوائق التي حالت بين جمهرة الناس وقراءة كتب التفسير، كما قام بتمحيص الروايات في كتب التفسير.

وقد عمد الشيخ إلى التطور والتجديد في أسلوب التفسير ليناسب عصره وذلك لما رأى أن الأساليب التي كتبت بها كتب التفسير وضعت في عهود سحيقة بأساليب تناسب أهل العصور التي ألفت فيها، ولكنه في نفس الوقت أشاد بجهود السابقين معترفاً بفضلهم مستنداً إلى آرائهم، وذكر ذلك الأمر في مقدمته معلقا على ما يمتاز به أهل عصره قائلاً: "يمتاز هذا العصر بميل أهله لسهولة الكلام ليفهم الغرض المراد منه حين التخاطب، دون احتياج إلى النقاش وصنوف التأويل، ومن ثم كان أهم ما عنيت به أن أقرأ في الموضوع الواحد ما كتبه أعلام المفسرين على اختلاف نزعاتهم وتباين أزمنتهم حتى إذا اطمأننت إلى فهم ما قرأت وتمثلته وهضمته، كتبته بأسلوب العصر الحاضر، وهذا هو نهجي في تأليف هذا التفسير وما حملني على ركوب هذا المركب الخشن، واقتحام هذه العقبات إلا انصراف القارئين عن قراءة كتب التفسير التي بين أيدينا، بدعوى أنها صعبة المدخل مفعمة بكثير من المصطلحات التي لا يعلمها إلا من أتقن هذه الفنون، واستبدلت بأساليب المؤلفين أسلوبا سهل المأخذ قليل الكلفة في الفهم، حتى يستطيع القارئ أن يلمّ بأسرار كتاب الله دون كدّ ولا نصب.")) [13]

إذن، يتميز تفسير المراغي بسمات هذه المرحلة، وهي أن عبارته سهلة وواضحة وقريبة للناس، أراد بها تقريب معاني القرآن الكريم من أفهام عامة الناس، وقد نص على ذلك في مقدمة تفسيره، مع انتقاده الشديد للروايات الإسرائيلية، وهو أيضا لا يخفي تأثره بمدرسة الشيخ محمد عبدُه، مع ما نجده من محاولات في تفسيره لتفسير آيات القرآن الكريم وفق ما وصل إليه أهل عصره وزمانه من علم ومعرفة، خاصة بالعلوم التجريبية.

6. في ظلال القرآن

من التفاسير المهمة في عصرنا الحديث - ولعلنا نختم به الكلام عن هذه المؤلفات - كتاب ***في ظلال القرآن***، الذي ألفه الأستاذ **سيد قطب**، المتوفى سنة 1385 للهجرة. الأستاذ سيد قطب هو كاتب وأديب مصري وأحد رواد الفكر الإسلامي المعاصر،و يعتبر من أكثر الشخصيات تأثيرًا في الحركات الإسلامية التي وجدت في بداية الخمسينيات من القرن الماضي. له العديد من المؤلفات والكتابات منها ما هو أدبي ومنها ما هو حول الحضارة الإسلامية، والفكر الإسلامي والتي تكشف عن طبيعة فكره ومنهجه، من هذه المؤلفات: كتاب ***نحو مجتمع إسلامي***، وكتاب ***معركتنا مع اليهود***، وكتاب ***معالم في الطريق***، ويأتي في تاج إنتاجه العلمي و فكره و نضوجه كتاب التفسير، ***في ظلال القرآن***. يُصنف تفسيره من بين التفاسير الموضوعية لأن له عناية كبيرة بالوحدة الموضوعية بين آيات القرآن الكريم في السورة، فهو يعتني بشكل كبير بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، "وذلك بالكلام عن السورة ككل، من ناحية أغراضها العامة والخاصة، مع ربط موضوعاتها، بعضها ببعض، حتى تبدو السورة، وهي في منتهى التناسق

---

[13] هذه الفقرة من خارج المحاضرة، مختصرة ومنقولة من تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، الجزء الأول، المقدمة، الناشر: مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى 1946م، ص15-19.

والإحكام، وكأنها عقد من لؤلؤ منظوم في غاية الإبداع" [14]. وأما تركيزه الكبير فقد كان لعلاج أوضاع الناس وإصلاح أحوالهم وفق ما يفهمه من القرآن الكريم، فكان يعرض واقع الناس وأحوالهم على آيات القرآن الكريم، يبين الخلل الذي وقع فيه الناس، ومقدار بعدهم عن منهج الله عز وجل الذي أنزله في القرآن، ثم يبين من خلال آيات القرآن الكريم ما يَعتقد أنه السبيل الأرشد لعلاج هذا الواقع والخروج بالناس منه، وبعد هذا فله عناية بمناقشة المستشرقين في بعض في آرائهم وأفكارهم والرد عليهم، وهو واحد من أكثر الكتب المعاصرة تأثيرا في الفكر المعاصر.

✓ هذه أيها الأخوة أبرز المؤلفات في مرحلة العصر الحديث. وبهذا نكون قد مررنا على المراحل التي مر بها علم التفسير، منذ نشأته و ظهوره إلى يومنا هذا، لعلنا - وهذا ما أرجوه وأتمناه - قد بان لنا الخط الزماني لعلم التفسير منذ أن بدأ، كيف بدأت بذرته ونشأت وازدهرت وتطورت وعلت حتى وصلت درجة الكمال في عصرها الذهبي، ثم ركدت، ثم كيف كانت في عصرنا الحديث، لعل هذا الخط الزماني يكشف لنا عن طبيعة التأليف في علم التفسير، وتاريخ التدوين فيه. وقفنا بإجمال كبير جدا على المؤلفات التي ألفت في هذه المراحل، وطبيعة المقرر تقتضي ذلك؛ لأنها هي في حقيقتها رصد تاريخي للتدوين في هذا العلم وليس المقصود منها دراسة تلك المؤلفات، بل دراستها لها مقرراتها الخاصة، والتي أرجو الله عز وجل أن ييسر لكم دراستها، أما وقد تكلمنا عن هذه المراحل كلها فيجدر التنبيه على ثلاث مسائل، ولعلي قد ذكرت ذلك في أول كلامنا عن هذه المراحل، ولكن لا بأس أن أعيد التأكيد عليها:

النقطة الأولى: أن هذا التقسيم لهذه المراحل، وجعل مراحل تاريخ التدوين في التفسير على خمسة مراحل هو أمر اجتهادي، تختلف فيه وجهات النظر، فالتقسيمات التي وضعتها هنا قد يأتي غيري فيزيد عليها أو ينقص منها.

النقطة الثانية: إن المقصود بهذا التقسيم هو توضيح المسيرة العلمية بشكل يقربها لأذهان الطلاب، بحيث يتصور الإنسان أن هناك مرحلة، وفي كل مرحلة سمة مميزة لها، وفي كل مرحلة هناك عدد من المؤلفات، هذا هو المقصود، أي أن تقرب الصورة الذهنية للخط الزمني لتاريخ علم التفسير لطالب العلم، وإلا فهذه المراحل التي ذكرناها ليست مراحل حدية، بمعنى: أن لها بداية دقيقة ونهاية دقيقة، كلا! فالعلوم تتشابك زمانا ومكانا، فيصعب التمييز بين زمن دون زمن، لكننا نقرب، فنقول هذه مرحلة النشأة والظهور إلى بداية التدوين، وبداية التدوين إلى القرن الرابع، والقرن الرابع إلى القرن التاسع، ثم بعد ذلك إلى سقوط الخلافة الإسلامية، المقصود بهذه هو فقط لتقريب الصورة للمتلقي وطالب العلم.

---

[14] الموسوعة القرآنية المتخصصة - الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (التابع لوزارة الأوقاف بجمهوريةمصر العربية)، طبعة القاهرة 1433 هـ 2003 / م ، ص 288.

النقطة الثالثة: هذه المراحل التي ذكرتها، وجعلت تاريخ التفسير مقسما عليها، وهي خمسة مراحل، لا يلزم أن تكون لكل العلوم، فلا يلزم أن يكون علم الفقه بهذه الصورة، أو علم العقيدة بهذه الصورة، أو علم الحديث بهذه الصورة، قد يكون لتلك العلوم مراحلها المختلفة، وأسماؤها المختلفة، وتواريخ كل مرحلة، فلا يلزم أن تكون هذه المراحل هي بعينها منطبقة على سائر العلوم الإسلامية، فقد يكون مثلا: ما هو عصر ازدهار لعلم التفسير، قد يكون عصر ركود لعلوم أخرى، والعكس؛ ما قد يكون عصر ركود في علم التفسير، قد يكون عصرا ذهبيا لغيره من العلوم.

الخلاصة

وبعد، أيها الأخوة الكرام، هذا مقرر تاريخ التفسير، تناولنا فيه عددا من المسائل التي هي - في الحقيقة - غاية في الأهمية، وربما كان بعض هذه المسائل يحتاج إلى مزيد تحرير؛ لأن الكتابة في تاريخ التدوين لعلم التفسير لم تلقَ العناية الواجبة، لصعوبتها، ولقلة المصادر التي تكلَّمتْ عنها، ولكننا حاولنا في هذه المحاضرات العشرين أن نستعرض عددا من الجوانب، وأن نلقي الضوء على بعض زوايا تاريخ التدوين في علم التفسير.

نحن تكلمنا عن **نشأة هذا العلم وظهوره**، سواء كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أو في عهد الصحابة، أو في عهد التابعين، والحقيقة إن هذه المرحلة - أعني **مرحلة النشأة والظهور** - هي الأساس الذي بني عليه عملية التفسير؛ ولذلك أخذتْ جزءا كبيرا من دراستنا ومدارستنا، وأشرنا في ثناياها إلى قضايا أساسية تتعلق، مثلا، بالموقف والمنهج من الروايات الإسرائيلية، تكلمنا أيضا عن مسألة الضعف في علم الرواية في علم التفسير، تكلمنا أيضا عن منهج نقد الروايات التفسيرية.

انتقلنا بعد ذلك إلى الكلام عن **المرحلة الثانية مرحلة التدوين**، وأشرنا في هذه المرحلة إلى عدد من القضايا الأساسية تتعلق بالتدوين في علم التفسير، متى بدأ؟ وكيف بدأ؟ ومن بدأه؟ وأشرنا في ثنايا ذلك إلى صعوبة رصد ذلك، أي صعوبة معرفة وتبيُّن أول من ألف في علم التفسير؛ لسبب بسيط، وهو أن كثيرا من تراثنا هو في حكم المفقود، أشرنا إلى مسألة الترابط بين علوم الشريعة، وأشرنا إلى قضية يكثر ذكرها وهي ارتباط علم التفسير بعلم الحديث، وأن هذا الارتباط المزعوم هو نظر غير دقيق في تاريخ العلوم، بحيث أن دعوى أن علم التفسير ارتبط في بدءه وظهوره بعلم الحديث، أن هذه الدعوى وهم، ولا يعكس حقيقة تاريخ التدوين في علوم الشريعة.

أيضا تكلمنا عن **مرحلة التطور و الازدهار** التي بدأت من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن التاسع الهجري، وأشرنا إلى أبرز سمة تميز هذه المرحلة، وهي اتساع التأليف، اتساع التأليف بشكل كبير في تفسير كلام الله عز وجل توسعا قل نظيره، ولم يأتِ بعده مثله، مع ظهور أثر التكوين العلمي على المؤلِف، فالمعتني باللغة تجد ذلك يظهر في تفسيره، والمعتني بالفقه تجد ذلك يظهر في تفسيره، وضربنا نماذج على ذلك.

ثم انتقلنا أيضا إلى **مرحلة ركود علم التفسير**، ركود التدوين في علم التفسير، وأشرنا إلى أننا نقصد بالركود هو عدم وجود تأليف يتميز بالجدة، بالأصالة، في علم التفسير، وأن غالب الكتب المدونة في تلك المرحلة - مع كثرتها وتنوعها - غالبها اجترار لما كان كتبه السابقون، إما اختصارا، أو جمعا بين متفرق، أو وضع حواش وتعليقات على تلك الكتب المتقدمة.

وختمنا حديثنا بالكلام عن **العصر الحديث**، وأشرنا إلى أن أبرز ما يميز العصر الحديث هو الرغبة في التجديد، التي مبعثها إرادة إحياء الأمة، وإفاقتها من نومها و سباتها الذي طال أمده بعد سقوط الخلافة الإسلامية، ودخول العالم الإسلامي كله في حالة استعمار غربي، يستنزف عقائد الناس، وأديانهم، وأخلاقهم، ومواردهم الاقتصادية والطبيعية، مع ما فيه من تغريب، وأشرنا إلى عدد من المؤلفات التي تعكس صورة هذا التجديد الذي يطمح له أهل العلم في عصرنا الحاضر.

أيها الأخوة بهذا نكون أنهينا الكلام عن مقرر تاريخ علم التفسير وتدوينه، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يكتب لنا ولكم الأجر والمثوبة، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع، كما أسأله أن يوفقنا للعمل الصالح، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **راجية الجنان**

قام بالمراجعة الأولى: **أخ في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، ومن مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، بالإضافة إلى نقل أقوال العلماء بالنص من مصادرها المنشورة. وحاولت باجتهاد متواضع أن ألقي بعض الضوء على كل تفسير من التفاسير المشار إليها في هذه المحاضرة وذلك بالاستعانة بالمصادر التي تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.

رئيفة درويش

